

مغامرات بوليسية



ملك الفضائح

شرلوك هولمز



دار
الفرجاني

ملك الفضاء

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الفرجاني
القاهرة : ٩ ميدان الذهبي - منشية البكري - مصر الجديدة
تليفون : ٢٩٠٥٨٩٥ ص. ب : ٢٣٨٢ الحرية

الغلاف : الفنان / صالح وحيد
الجمع التصويري / سحر اسماعيل
رشا اسماعيل

ملك الفضائح

ترجمة

عزت السيد ابراهيم

تأليف الكاتب الانجليزي الخالد

سير ارثر كونان دويل

دار الفرجاني

القاهرة - طرابلس - لندن

مر عام على الوقائع التي سوف أسردها وقد
يلومني لائم لأنني لم أنشرها في حينها غير انه لو
علم السبب يعذرني اذ إنها تخذش بعض

م

الشخصيات الهامة لو اذيعت وقتئذ لقلبت انجلترا رأسا على
عقب . أما الآن وقد أصبح الجاني بعيداً لاتسرى عليه قوانين
البشر ففي استطاعتي رواية القضية دون أن تمس أحدا .

وفي الواقع فهي من أغرب القضايا التي عالجتها مع صديقي
مستر شرلوك هولمز سيلحظ القارئ أنني ابدلت أسماء الأشخاص
الذين لهم علاقة بالقضية بأسماء مستعارة وغيرت توزيع أدوارهم
حتى يتعذر على القارئ معرفة رجالها الأصليين ..

كانت أمسية رطبة تكاد تتجمد لها الدماء في العروق وكان
الهواء يهب علينا في برودة الثلج عندما عدت أنا وهولمز من
الخارج في الساعة السادسة مساءً ، وبعد أن دخلنا المنزل وجدنا
على مكتبه بطاقة لم يلبث أن رفعها وألقى نظرة اشمئزاز عليها
ثم رماها على أرض الغرفة فدهشت لهذه الحركة الغريبة وانحنيت
لإلتقاطها وإذا فيها :

شارلس أوغسطس ميلفرتون وكيل أعمال

أبليدور تاورز همبستيد

فسأله :

❁ هل تعرفه ؟

فقال ولا زالت علامات الاشمئزاز ترسم على وجهه النحيل :

❁ أعرف أنه أقدر رجل في لندن بأسرها .. هل كتب شيئا في
ظهر البطاقة ؟

سألنى وهو يتخذ مقعده ويدنى قدميه من نار المدفأة بينما
قلبت البطاقة وقرأت ما كتب خلفها ثم قلت :

❁ " سأحضر في الساعة السادسة والنصف - ش. ا. م. "

❁ ألم تشعر بشيء يا واطسون عندما تزور حديقة الحيوانات
وتقف برهة أمام مجموعة الشعابين بأجسادها الناعمة
الزاحفة وعيونها الضيقة التى يموج فيها الموت الذريع ! ألم
تشعر باشمئزاز وأنت تراها ؟ هذا هو ما أحس به عندما
يقع نظرى على شارلس أوغسطس ميلفرتون .

وسكت لحظة ثم قال :

❖ لقد عالجت قضايا كثيرة .. مئات من القضايا كانت كل منها تعج بشخصيات القتلة والمجرمين ، ولكنى لم أحس بذرة من شعورى الذى أشعر به نحو هذا الشخص المقيت .

فسألته وأنا أدهش من ثورته على الرجل الذى لم أره من قبل:

❖ ولكن من شارلس اوغسطس ميلفرتون هذا ؟!

فأجابنى وهو يشوح بيده :

❖ هو ملك الفضائح .. ويل للرجل أو المرأة التى تقع أسرارها التى تود اخفاءها بين يدى ميلفرتون فهو يتقدم إليها بنعومة الأفعى ويصارحها بما عثر عليه ويهددها باذاعتها بالرفق تارة وبالشدة تارة أخرى حتى تعطيه ما يطلب لسكوته ويظل يمتص دماءها قطرة قطرة حتى يصيبها الجفاف والا تجد منفذاً من ورطتها إلا بالانتحار .. وله طريقة خاصة يسير على نهجها وهى تدل على عبقرية فذة هى الأولى من نوعها وتتلخص فى أنه يذيع فى الطبقة السفلى أنه على استعداد لدفع مبالغ باهظة لمن يتحصل له على خطابات أو وثائق تدين أكبر شخصيات انجلترا سواء فى المركز أو فى الثروة ولا يكتفى بالخدم اللذين ينقلون

ينقلون اليه أخبار أسيادهم أولا بأول بل له أيضاً معاملات
مع بعض المحتالين الوجهاء الذين يغرون النساء بمظاهرهم
الكاذبة حتى يوقعوهم في شباك غرامهم حتى إذا ما
اطمأنن إليهم ووثقن بهم شجعوهن بالكتابة إليهم وهم
يحتفظون بالمخطابات ويعطونها لميفرتون مقابل مبالغ
باهظة لا يكاد يصدقها العقل ..

وهو ينتقى من الناس من هم أكثر شحاً وبخلاً وأذكر مرة أنه دفع
سبعمائة جنيه ليحصل على سطرين فقط كانا كافيين للقضاء
على سمعة أحد نبلاء الإنجليز المعروفين وتلطيح اسم أسرته التي
ينحدر فيها بالوحل والعار الذي لا يحى مهما تقادم عليه العهد .
ينقض على فريسته فجأة دون انذار ودون أن يمهد لها أى
فرصة للافلات من بين أصابعه ..

ويفكر في خطته ويراجعها مرات .. ومرات .. حتى إذا وجد
إنها كاملة خالية من كل ثغرة يتدخل منها القانون أقدم على
تنفيذها وهو مطمئن البال .. لقد ذكرت لك أنه أقدر مخلوق في
لندن .. بل في العالم بأسره يا واطسون !

وسكت هولمز .. وقد دهشت لأنى لم أسمع مرة يتكلم بهذا
الحماس وقلت :

❖ ولكن من المؤكد انه وقع في ورطة مع رجال البوليس فتقدم اليك يسألك المعونة !
فهز صديقى رأسه وقال :

❖ لاأظن إذا ، ماسوف تجنى سيدة وقعت في يده من سجنه بضعة شهور وهى تعلم بل تثق في أنه سيثير حولها فضيحة كبرى قبل أن يطأ عتبة السجن بقدمه ! ولنفرض جدلا أنه هدد شخصا بريئا باختلاق أخبار وأسرار كاذبة مزيفة يحيطها باسمه الناصع .. كان الأخرى أن يحضر هذا الشخص المعنى لاستشارتى وسؤالى أن أنتشله من بين براثن ذلك الوغد ولكن الذى سوف يحضر هو المجرم نفسه فدعنا نبحث عن سبب آخر معقول يقوده الينا ونفكر في طريقة حاسمة لمحاربتة .

فظهرت آثار الدهشة الشديدة على وجهى وأنا أجيبه :
محاربتة ! اذن فأنت تعرف السبب الذى دعاه إلى المجيء هنا لأنك تفكر في محاربتة ؟

❖ نعم وقد أنكرت عليك السبب لأتنى وددت أن تستعمل عقلك .. والواقع ان إحدى الشخصيات الكبيرة في المجتمع الانجليزى وضعت قضيتها بين يدى وهذه

الشخصية هي " الليدى ايفا براكويل " التى ستتزوج قريبا من ايرل أوف دوفر كورث وقد كانت على صلة بشخص من قبل وكانت تراسله وقد وقعت خطاباتهما أخيرا في يد ميلفرتون الذى لايرحم ولو أذاعها لتخلى أيرل أوف دوفر كورث عنها وقد طلب ميلفرتون مبلغا باهظا مقابلها وهددها بارسالها إلى خطيبها إذا لم ترضخ له وتدفع ما يطلب ولذلك قد أرسلت في طلب ميلفرتون لأتفق معه على شروط تكون في صالح الليدى موكلتى ..

وفي هذه اللحظة طرق سمعنا صوت محرك سيارة تقف أمام الباب الخارجى وعندما نظرت من النافذة وجدت السائق يفتح بابها باحترام زائد ويهبط منها شخص تدل هيئته على الغنى والثراء وكان يرتدى قبعة من النوع الجديد ومعطفا ثمينا ..

وبعد لحظة كان شارلس أوغسطس ميلفرتون معنا في الحجرة وهو يخلع القبعة والمعطف .. كان في الخمسين من عمره .. يحمل بين كتفيه رأسا كبير الحجم له جبهة عريضة تدل على الذكاء المفرط حليق الشارب والذقن على فمه تسيل ابتسامة جامدة لاتعبر عن شىء وكان ينبعث من عينيه المغطاتين بالنظارة شعاع غريب إن دل على شىء فهو يدل على الخبث والدهاء وكان صوته ناعما رقيقا يخدع سامعه فلا يظن أنه إزاء رجل مجرم قدر لاهم له إلا حشو جيوبه بالمال بأى وسيلة ..

والقى ميلفرتون معطفه فوق ظهر المقعد الذى جلس عليه وقال:
❁ حسناً .. أكون سعيدا يامستر هولمز لو تفاهمت معك على
انفراد ..

قالها وهو ينظر إلى بينما قال هولمز في صوت هادىء واضح
النبرات وهو يقدمنى اليه :

❁ الدكتور واطسون صديقى .. مستر شارلس أوغسطس
ميلفرتون ..

ثم قال إجابة على سؤاله :

❁ تستطيع يامستر ميلفرتون أن تتفاهم معى أمامه فهو
زميلى في العمل ..

❁ حسنا يامستر هولمز .. أنت طبعا تعرف المسألة ولا داعى
لإعادة سردها و ..

فقاطعه صديقى ..

❁ نعم وصديقى واطسون يعرفها أيضا .

❁ حسنا جدا إذن نستطيع أن نبدأ في العمل مباشرة ..

وسكت لحظة ثم استطرد :

❁ تقول أن الليدى إيفا براكويل قد وكلتك عن نفسها فهل خولت لك حق الإتفاق معى على الشروط أيضا ؟

❁ نعم .. وما هى شروطك ؟

❁ سبعة آلاف جنيها !!

فقفز هولمز واقفا وصاح في وجهه :

❁ مقابل ماذا ؟

بينما قال ميلفرتون في صوت واضح هادىء :

❁ لاتخجلنى بالشرح ولكن ثق تماما أنه إذا لم تدفع الليدى إيفا المبلغ الذى أطلبه قبل يوم ١٤ في الشهر الحالى فسوف لا يتم زواجها بإيرل أوف دفر كورث الذى حدد له يوم ١٨ من نفس الشهر ..

وزادت الإبتسامة بشاعة حول فمه الكريه ..

وفكر هولمز لحظة ثم قال وهو يعود إلى مقعدة ..

❁ لقد جاءت الليدى هنا لاستشارتى وصرحت لى بمحتويات هذه الرسائل وسوف أسديها نصيحة وهى الإعتراف لخطيبها الأيرل بكل شىء وتثق بعد ذلك بنبل اخلاقة وشهامته كرجل ينحدر من أصل طيب وعنصر شريف ..

فهم ميلفرتون كتفيه استهزا وقال :

✻ إذن فأنت لاتعرف الأيرل حق المعرفة يا سيدى .. انها رسائل هامة لا أستطيع التنازل عنها بمثل هذه السهولة التى تظنها ولو كنت تعلم ماتحويه هذه الخطابات كما تقول لوجدت أن الثمن الذى أطلبه في مقابلها قليل بالنسبة لها ..

قال ذلك وتناول معطفه وقبعته بينما صاح هولمز وهو يهتز من فرط الغيظ :

✻ انتظر قليلا يامستر ميلفرتون ولا تتعجل في الإنصراف وسوف تبذل كل جهد معك لتحاشى الفضيحة التى سوف تقدم اليها ..

فقال ميلفرتون وهو يعود إلى مقعده :

✻ كنت واثقا من ذلك ..

وقال هولمز :

✻ ومن جهة أخرى إن الليدى إيفا براكويل ليست بالسيدة الثرية وأظن أن الفين من الجنيهاات كافية لأن تؤثر على ثروتها المحددة تأثيرا سيئا .. ولكن المبلغ الذى حددته

ليس في وسعها دفعه فأرجو أن تقبل الألفين وتعيد الينا
الخطابات مقابلها ..

❁ قد يكون قولك حقيقيا من ناحية ثروتها ولكن زواجها من
ايرل أوف دفر كورث صفقة عظيمة لها وأظن أن فرصة
كهذه أكون مثالا للغباوة والتغفيل لو تركتها تفلت من بين
أصابعى ..

وسكت لحظة ليرى تأثير كلماته وقال :

❁ ولاتنس أن جميع الاهل والأصدقاء يتربحون حفلة الزواج
على أحر من الجمر .. (ونظر الينا نظرة ذات معنى)
فاذا ظهرت حزمة من الرسائل ...

فقاطعه هولمز وهو يضغط على ضروسه :

❁ ولكن هذا مستحيل ...

❁ اذن ماذا تريد منى أن أفعل .. انتظر

وأدخل يده في جيب جاكته الداخلى واخرج محفظة من النوع
الكبير وأشار إلى رزمة من الخطابات تطل منها وقال :

❁ هذه الخطابات تختص بـ حسنا قد يكون من الأوفق
اخفاء الاسم إلى صباح الغد لأنها وقتئذ ستكون في حيازة

زوج السيدة المقصودة .. لأنها فقيرة وليس في إمكانها دفع المبلغ الذي طلبته منها ناسية أنه يمكن رهن جواهرها الغالية التي تحلى جيادها الناصع وعنقها الجميل بها ..

إنه لشيء يؤسف له حقا ولكن هل تتذكر يامستر هولمز خطوبة الأفورابل مس مايلز والكولونيل دو كينج التي فسخت فجأة !! يومان فقط قبل ميعاد الزفاف كانا كافيين لأن تنشر جريدة المورننج بوست خبر فسخ الخطوبة فجأة دون أن يدري أحد السبب ولو كانت مس مايلز دفعت مبلغ الألف والمأتين جنيه التي طلبتها لتم كل شيء وفق رغبتها .. ثم تأبى أنت يامستر هولمز وتستكثر سبعة آلاف جنيه .

❖ هي الحقيقة التي أفوه بها فإن ثروة الليلدي إفا محددة وليس في طاقتها دفع أكثر من الفين وهو مبلغ لا يستهان به في هذه الايام العصيبة . يمكنك أن تفيد منه بينما لا يمكنك أن تفيد من فسخ الخطوبة بين إيرل أوف دوفر كورت فأنت الغانم إذا اقتنعت بها ..

❖ لقد أخطأت خطأ جسيما يامستر هولمز في قولك اذ أن فسخ خطوبتها والخراب أفيد منه كثيرا ..

عندى الآن ثمان أو عشر حالات تشبه حالتها فاذا أذعت

أسرار الليدى إيفا اتخذت من خرابها مثلاً أضربه لكل عاص
وعاصيه لايقبل الدفع .. هل رأيت ياعزيزى ؟!

وعنئذ لم يحتمل هولز أكثر من ذلك فقفز من فوق مقعده كمن
لدغته أفعى سامة وصاح بى وهو يلهث :

❁ واطسون قف خلفه ولا تدعه يتخطى عتبة الباب قبل أن
نتزع منه الحافظة .

غير أن ميلفرتون أتى بحركة فجائية لم نكن نتوقعها فانتصب
واقفاً وألصق ظهره بالخائط وأشهر في وجهينا مسدساً كبير الحجم
أخرجه بسرعة من جيبه الخلفى وقال وقد زادت الابتسامة البشعة
اتساعاً :

❁ ان حيلتك قديمة يامستر هولز فأياك أن تلمسنى أنت
وصديقك ...

ودوى في الغرفة الضيقة صوت قهقهة وقحة أرسلها من فمه
واستطرد :

❁ هل تعتقد في الغباوة إلى هذا الحد .. أنت واهم وأؤكد لك
أننى مسلح من قمة رأسى إلى اخمص قدمى وإلى جانب
هذا تطرف بك الظن أنى أحمل في حافطتى رباطات
الرسائل .

أنت مخطئ ، يا عزيزي ..

واتخذ وجهه هيئة الجد وقال :

❖ والآن لدى زيارة أو زيارتان لبعض الأشخاص هذا المساء
والطريق طويل إلى همبستيد فارجو أن تسمححالي
بالإنصراف ..

قال ذلك وتناول معطفه ، ومسدسه مشهر في وجهنا وقد
حاولت وقتئذ أن أمسك مقعداً وأهوى به فوق رأسه غير أن هولمز
منعني بهزة من رأسه .. ولاحت بسمة قذرة على فم ميلفرتون
وهو ينحنى أمامنا في وقاحة ويتراجع بظهره نحو الباب ثم خرج
ولم تمض لحظة حتى سمعنا صوت السيارة وهي تبتعد عن المنزل .

وجلس هولمز فاقداً الحركة على مقعد قريب من المدفأة داساً
يديه في جيبى بنطلونه وغرق ذقنة في صدره بينما كانت عيناه
تنظران إلى لهب المدفأة في سكون ...

❖ ومر نصف ساعة دون أن ينبس بلفظة وفي هيئة الرجل
الذى عقد العزم على أمر انتصب واقفا وولج غرفة نومه
وبعد برهة عاد في زى رجل من العمال رث الثياب له ذقن
مرسل يشبه ذقن العنزة ثم أشعل سيجار وقال وهو يهبط
السلم في طريقة إلى الشارع :

❁ سأعود ياوطسون ..

ثم غاب في جوف الظلام ..

وحينئذ علمت أنه أعلن الحرب على شارلس أوغسطس ميلفرتون وعجبت من الذى اختاره للنضال ومضت بعد ذلك أيام كان يأتى فيها هولمز إلى البيت ويخرج دون أن يبدل ملابسه ودون أن يذكر لى كلمة واحدة عما وصل اليه ولكنى كنت واثقا أنه يمضى وقته في التجوال بهمبستيد وأخيرا وفي ليلة عاصفة كان الهواء يصفر في الخارج صفيراً مزعجاً رجع هولمز واتخذ مقعده بجوار المدفأة ثم انفجر ضاحكا وقال :

❁ ألم تسمع يا وطسون أن في نيتى الزواج ؟

فصحت دهشا :

❁ كلا لم أسمع من قبل .

❁ إذن فسوف تسر عندما تعلم أنى خطبت ..

❁ ومن هى السعيدة التى سوف تحظى بقربك ؟

❁ هى صاحبة العصمة خادمة مستر شارلس أوغسطس ميلفرتون !!

❁ إنك هازل ياهولمز .

❁ بل هو عين الجمد .. والا ماذا أفعل كي أحصل على معلومات عن ميلفرتون :

❁ وهل نجحت خطتك ؟

لقد كانت خطوة لا بد منها .. فقد ادعيت أن اسمي " سكوو " وتوصلت إلى التعرف بها وكنت كل ليلة أرافقها في نزهة ولا أتركها إلا وهي على ميعاد جديد معي وجعلت أخلق المناسبات لكي تحدثني عن مخدومها حتى علمت منها كل ما أريد معرفته وأصبحت أعرف بيت ميلفرتون من الداخل كما أعرف بيتي ..

فضحكت مستنكرا :

❁ ولكن الفتاة ياهولمز !!

فهز كتيفه قائلا :

❁ لقد انتهت مأموريته يا واطسون .

يجب أن تتفنن في اللعب بالورق حتى تتغلب على خصومك
إنني أكره الشخص الذي يتحيز الفرص لكي يفرز خنجراً حتى
مقبضة من الخلف .

وكانت الريح تعصف في الخارج وتكاد تخلع النوافذ والأبواب
من أماكنها فقال هولمز :

❁ بالله ..؟ ماأبداع هذا الجو العاصف ..

فصحت دهشا :

❁ ومن متى هولز يتغزل في الجو العاصف ؟

اليوم فقط .. لأن هذا الجو يطابق غرضى .. اسمع ياواطسون
إن في نيتى السطو على بيت ملفرتون الليلة .. وما أن تفوه
هولز بهذه الجملة حتى انحبست أنفاسى وشعرت بجسمى ينقع
عرقا .. وكقبس من نور انبثق فجأة من السماء في ليلة داجية
مظلمة مر بذهنى ما يترتب على السطو من مسئولية جسيمة فقلت
لهولز ..

❁ أستحلفك بالله أن تفكر جيدا قبل أن تقدم على ذلك ؟

وبدا العزم على وجهه وهو يقول :

❁ لقد فكرت في الأمر وأعرف الخطورة التى ينطوى عليها
عملى ولكن دعنا نقلب المسألة على وجوها وعندئذ سوف
ترى معى أن ما فكرت فيه هو الطريقة الوحيدة للحصول
على المحافظة التى تحتوى على الرسائل فإذا ما تحصلنا
عليها أمكننا إنقاذ أناس كثيرين شاء حظهم السيء أن
تقع أسرارهم بين يدى ملفرتون ..

❁ نعم ولكن لولا أن هذه الأسرار مخجلة ويستحقون من أجلها العقاب لما هددهم ميلفرتون بإذاعتها !

❁ هل تتذكر قول المسيح الذى معناه " من لم يأت منكم بخطيئة فليرمها بأول حجر " ؟ كل إنسان يا واطسون معرض للخطأ ولا تنس أن السطو هو السبيل الوحيد لسرقة المحافظة لأن الليدى قد وكلت إلينا أمرها لعدم استطاعتها دفع المبلغ الذى يطلبه ميلفرتون وغدا هو آخر يوم حدده كى يرسل لخطيبها إيرل أوف دوفر كورث الخطابات .. وإذا لم نوفق الليلة في سرقتها فسيحل بها الخراب الذريع وأظن أنه ليس من اللائق أن أورد عميلتى موارد التهلكة ..

❁ إذن فلامفر من أن نرمى بالورقة الأخيرة .. متى سنبدأ ؟

❁ ولكنك سوف لا ترافقنى !!

❁ وأنت سوف لا تذهب أن لم أكن معك وإذا حدثتك نفسك بالسطو دونى فأعدك وعدا صادقا بأن استقل أول عربة تصادفنى وأذهب إلى مركز البوليس وأخبرهم بما أنت معتزم عليه ؟

❁ ولكن وجودك لا يفيد ..

❁ ومن أدراك ؟ هل ترجم بالغيب أو تتكهن بالمستقبل ؟
وعندئذ ربت هولمز على كتفى قائلاً :

❁ حسناً .. فليس هناك مفر من مرافقتي .. لقد قاسمتني
هذه الحجرة بضعة أعوام ولا بأس من أن تقاسمني السجن
بضعة أعوام أيضاً !!

وسكت برهة ثم قال :

❁ أنت تعرف يا واطسون طريقة عملي وهي أن أكون فكرة
في رأسي قبل أن أقدم على شيء . وبعد أن ألقبها على
كافة نواحيها أسير على نورها لأصل إلى النتيجة
المحتومة التي كنت أتوقعها أنظر ..

قال ذلك ومضى إلى المكتب ثم أخرج حافظة صغيرة من الجلد
وفتحها فاذا بها بعض آلات دقيقة تلمع في قرارها .. حافظة
تكفي لقضاء بضعة أعوام بين جدران سجن انجلترا ! .

❁ هذا آخر ما توصل اليه من السرقة .. كلا آلات على آخر
طراز فهذه طفاشة وتلك لانتزاع فصوص الماس وهذه الآلة
المديبة لسحق الزجاج وفي ركن الغرفة تجد مصباحاً دهن
زجاجة بلون قاتم .. كل شيء جاهز ..

وسكت لحظة ثم سألني :

❁ هل لديك حذاء خفيف ؟

❁ عندي حذاء طالما استعملته في لعب التنس !

❁ بديع جدا .. هل عندك قناع ايضا ؟

❁ يمكنني أن أصنع زوجا من الحرير الأسود !

فقال وهو يضحك :

❁ أرى ان لديك استعداد لأن تكون لصا من الطبقة الاولى ياواطسون ابتدىء الآن في صنع القناعين وسوف نتناول قليلا من الطعام قبل الذهاب .. إن الساعة الآن النصف بعد التاسعة وعندما تبلغ الحادية عشر نستقل عربة ونذهب إلى " تشيرس رو " والمسافة بينها وبين إبليدو تاورز نقطعها سيراً على الأقدام في ربع ساعة وسوف نبدأ عملنا قبل منتصف الليل .. لقد قالت لى الخادمة أن ميلفرتون يذهب إلى فراشه في العاشرة والنصف من كل ليلة وهو يمتاز بالنوم العميق وسوف نبذل جهدنا كي نصل إلى هنا قبل الساعة الثانية صباحا وستكون معنا خطابات الليدى إيفا براكويل ..

وارتدينا ثيابنا حتى كان من يرانا وقتئذ يعتقد أننا كنا في سهرة ممتعه وأوقفنا عربة في شارع أكسفورد وذكرنا للحوذى

عنوانا بهامبستيد وبعد أن وصلنا صرفنا العربية ورفعنا ياقتى
معطفينا لنتقى شدة البرد وقطعنا الطريق على أقدامنا إلى
ابليدرو تاورز وفي الطريق قال هولمز .

❁ إنه عمل يحتاج لشيء من الكياسة والحكمة والحذر لأن
هذه الرسائل يحفيها ميلفرتون في مكتبه ولا بد للوصول
إلى المكتب من المرور بالردهة أولا ثم بغرفة نومه ثانيا ..
ولاتنس أن نومه ثقيل حتى أن خطيبتي العزيزة صرحت
إلى مرة أنها لو أطلقت مدفعا في الردهة لما استيقظ هذا
الرجل الكسول ولميلفرتون سكرتير شاب لايفارق غرفة
المكتب نهارا ولذا فضلت السطو ليلا وفي الحديقة كلب
هائل أحضره ميلفرتون لحراسته .. وقد قابلت أجاثا في
الليلتين السابقتين واتفقت معها على حبس الكلب لكي
يتيسر لى الحضور اليها دون أن يفضحنى بنباحه ثم أشار
إلى بيت كبير جاثم في الظلام الدامس وقال :

❁ هذا هو البيت ، وهو كما ترى أكبر بيت في الناحية ..
والآن يستحسن أن نضع القناعين على وجهينا .. إن الحظ
يساعدنا ياواطسون فنوافذ البيت كلها مظلمة وكل شيء
على مايرام ...

وما أن أخفينا وجهينا تحت القناعين المحاكمين حتى انقلبنا من

رجال شرطة محترمين إلى مجرمين عريقين في الأجرام مختصين
في السطو على المنازل ثم تسللنا بقلوب واجفة داخل البيت
وكانت بجانبنا فيراندا طويلة تمتد من أول البناء إلى آخره وبها
منافذ متعددة وبابان ..

وهمس هولمز في أذنى :

❁ هذه هي غرفة النوم .. وهذا الباب يقود مباشرة إلى غرفة
المكتب وهو مغلق بعارضة حديدية من الداخل وسوف
نحدث ضجة هائلة إذا حاولت فتحة .. اقترب هنا .. هذا
الباب يقود إلى غرفة الإستقبال .

وكان أيضاً موصداً فأخرج هولمز شيئاً من محفظة الصغيرة
وأدخله في ثقب المفتاح وجعل يحرك برهة انفتح الباب على أثرها
فدلفنا إلى الداخل واغلقنا الباب خلفنا ..

وهكذا أضحمنا لصوص من الطراز الأول في نظر الناس
والقانون !!

وفي الظلام الكثيف امسك بي هولمز من ذراعى وجعلنى أتبع
وهولمز له قدرة عجيبة في السير في الظلام مهما كان حالكا
ودامسا وفي بطن شديد فتح باباً مرقنا منه فوجدنا انفسنا . في
حجرة واسعة كانت رائحة دخان السجائر والطباق تعبقها وجعلنا

نشق طريقنا وسط قطع الأثاث الجاثمة أمامنا كالأشباح حتى بلغنا بابا آخر فتحه هولمز وبعد أن دخلنا منه أغلقه خلفه دون أن يحدث ضجة وبينما أنا أتحسس في الظلام لمست يدي عفوا بعض ملابس معلقة على كشجب فعلمت أننا في ممر اجتزنناه وفي بطن أيضاً فتح هولمز بابا آخر على يمينه وما كاد يفعل حتى احسنا بشيء يندفع صوينا فكادت تقف نبضات قلبي خوفا وارتعابا ولكنى كتمت ضحكة عندما علمت أن ذلك الشيء ليس إلا قط !

وكانت المدفأة لاتزال موقدة في الحجرة وكان الجو مثقلا برائحة الدخان والطباق . ودخل هولمز على أطراف أصابعه ثم انتظر حتى بلغته وأغلق الباب وكانت هذه الغرفة هي مكتب ميلفرتون وكان الباب الذى يقود إلى مخدعة يقع في نهايتها وإلى جانب المدفأة كانت تمتد ستارة سميكة من القטיפه القائمة تغطى النافذة التى رأيناها من الخارج ويجوارها الباب المؤدى إلى الفيرندا ..

وفي وسط الحجرة شاهدا مكتبا كبير الحجم وخلفه مقعد يناسبه يدور حول نفسه من الجلد الأحمر بينما في الناحية المضادة وجدنا رفا كبيرا قد رصت عليه الكتب رصا بديعا وفي الزاوية التى بين الرف والحائط رأينا خزانة حديدية كان يتعكس عليها .

ضوء بصيص من النور المنبعث من المدفأة فاقترب هولمز منها وجعل يفحصها برهة ثم زحف إلى باب الحجرة التى يرقد فيها

ميلفرتون ملك الفضائح وأدنى أذنه من ثقب المفتاح وأصاخ
السمع فوجد كل شيء ساكنا يدعو إلى الإطمئنان غير أنى في
الوقت نفسه أشفقت أن يفاجئنا احد من باب الفيراندا فاقتربت
منه ولشدة دهشتى وجدته غير موحد لا بالقفل ولا بالعارضة
الحديدية فلمست ذراع هولمز واشرت له على الباب فدنا منه
ودهش هو الآخر ثم همس في اذنى قائلا :

❁ قف بالقرب من الباب وعندما تسمع أقل حركة ضع
العارضة الحديدية خلفه وفي استطاعتنا وقتئذ أن نعود من
حيث أتينا وإذا حدث وفوجئنا من الباب الآخر فيمكننا
الهرب من باب الفيرندا هذا إذا كنا قد تمكنا من الحصول
على الخطابات أما إذا لم نكن قد تحصلنا عليها بعد ففي
استطاعتنا أن نختفى خلف الستار السمكة التى تغطى
النافذة .. هل فهمت !!

فأومأت برأسى علامة الإيجاب ووقفت بجوار الباب وأنا أحس
بدماء المفامرة تسرى في عروقى كالزئبق المصهور ونسيت إلى
حدا الخطورة التى ينظوى عليها عملنا وجعلت كل همى هو
الحصول على هذه الرسائل مهما حدث حتى تمنع فضيحة كبرى
تكفى للقضاء على سمعة سيدة لها قيمتها في الهيئة الاجتماعية
وهى الليدى إيفا براكويل ...

وجعلت أرقب هولمز بعين المعجب وهو يخرج محفظته الجلدية الصغيرة وينتقى منها آلة رفيعة كأنه جراح ماهر على وشك إجراء عملية جراحية خطيرة وخلع سترته وشمر ساعديه وأعمل الآلة في القفل ، بينما وقفت أنا وقد تحول همس إلى اذان تصفى وعيون ترى وبعد نحو نصف ساعة طرقت أذنى تكة خفيفة رأيت على أثرها باب الخزانة الأخضر وهو يفتح ولفت نظرى رباطات الرسائل بداخلها وكل رابطة مبسوطة بالشمع الأحمر .

وأمسك هولمز برابطة منها وحاول قراءة ماكتب عليها ولكن بصيص النور المنبعث من المدفأة لم يكن كافيا فأدنى مصباحه ذا اللون المظلم منها .. وفجأة رأيتنه يغلق باب الخزانة الحديدية بسرعة ويرد تدى سترته ويضع الآلات الدقيقة في الحافظة ويتوارى خلف ستار النافذة وهو يشير إلى بأن أفعل مثله ..

وما أن أخذنا مكانينا خلف الستار السميكة حتى سمعت عندئذ فقط حركة غريبة تدور داخل المنزل صوت باب يصطفق ثم وقع أقدام خفيفة تليها همهمة لم نتبينها ودفع فجأة الباب المثل على المر ثم غمر الغرفة سيل باهر من النور .. ثم أغلق الباب واحسسنا في معاطفنا برائحة دخان سجائر وسمعنا وقع أقدام تخفت ثم تستقر ..

وأزحت فرجتى الستار بعضهما عن بعض عندما طرق اذنيننا قرقة أوراق !!

كان قلبى يصل إلى حلقومى من هول مارأيت !!

كان شارلس اغوسطس ميلفرتون جالسا على المقعد الجلدى أمام المكتب موليا ظهره العريض لنا والظاهر اننا اخطأنا في تقدير ساعة نومه لأنه لم يدخل أو يخرج مخدعه قط ويحتمل أنه كان جالسا في حجرة التدخين أو البليارد التى تقع في الجناح الآخر من البيت ولذا لم نر نافذتها وهى مضاعة !!

وكان رأس مليفرتون الأصلع يبرق تحت ضوء النجفة التى تتوسط سقف حجرة المكتب وفي فمه سيجار ضخمة تنبعث منه سحب الدخان في حلقات كبيرة متصلة وكان ممسكا بين يديه بأوراق يقرأها بينما بسمته الشنيعة لاتفارق شففيه الغليظتين .

كانت نظرة واحدة منه نحو الخزانة المثبتة في الركن تكفى لأن يفهم كل شىء رغم أن هولمز قد أدار درفتها الحديدية قبل أن يختفى خلف الستار وكنت مصمما أنه لو حدث واكتشف ميلفرتون الأمر أن ألقى بمعطى على وجهه حتى أعوقه عن الحركة وعلى هولمز أن يقوم بالباقي .

ولكن ميلفرتون لم ينظر إلى الخزانة اذ كان منهمكا في قراءة الأوراق التى كانت بين يديه وكنت اعتقد أنه بمجرد انتهائه من القراءة وتدخين سيجارة سوف يأوى إلى مخدعة ولكنه قبل أن

ينتهى من شىء ألقى نظرة سريعة على الساعة التى تطوق معصمه ثم انتصب واقفا لحظة ثم عاد إلى الجلوس فى حركة تدل على أنه ينتظر زيارة أحد . ومضت لحظة طويلة مملة سمعنا بعدها حركة خافتة تصدر من الفيراندا فأخفى ميلفرتون الأوراق التى كان يقرأها واعتدل على مقعده .

وتكررت الحركة ثم سمعنا طرقة خفيفة على الباب فقام ميلفرتون ليستقبل القادم .. بل القادمة وهو يقول :

❁ حسنا لقد تأخرت عن ميعادك بما يقرب من نصف ساعة ؟! وعندئذ فهمت السبب الذى ترك من أجله باب الفيراندا دون أن يوصده بالقفل أو أن يثبت العارضة الحديدية خلفه ..

وعندما أصبح وجه ميلفرتون لنا كنت قد ضمنت شقى الستار لأخفى الفرجة التى أصوب نظرى منها ثم عدت إلى فتحها عندما جلس إلى مقعده أمام المكتب وأرسلت بصرى نحو الزائرة التى تجلس أمامه ..

كانت طويلة القامة سمراء البشرة تحجب وجهها بقناع اسود وترتدي ثوبا جميلا يدل على حسن ذوقها موشى بالدانتلا وكان صدرها البارز يعلو ويهبط فى سرعة ويداهما تعبثان ببعضهما فى بعض فى انفعال شديد .

- وتكلم ميلفرتون وهو يلوك سيجاره الكبير في ركن فمه :
- ❁ حسنا .. لقد ضحيت بميعاد هام من أجلك ولا أدري إذا كنت تستأهلي هذه التضحية من جانبي أم أنني أخطأت ؟ ألم يمكنك الحضور في وقت آخر ؟
- فهزت السيدة رأسها بالنفي بينما عاد هو يقول ..
- ❁ فليكن إذا .. إذا كانت الكونتس في غاية الشدة فيمكنك تسوية الأمور معها فيها بعد ..
- وسكت لحظة ثم سألها وهو يتفرس فيها :
- ❁ ولكن لم أرك ترتجفين يافتاتي ؟ تجلدى واجمعي شتات نفسك .. هذا حسن والآن دعينا نتكلم فيها جئت من أجله وأخرج مفكرة من درج مكتبة ألقى عليها نظرة ثم قال :
- ❁ تقولين في رسالتك إنه لديك خمسة خطابات خاصة بالكونتيس ألبرت وتريدين بيعها وأنا أريد شراءها ولا يبقى سوى أن نتفق على الثمن ولكن قبل كل شيء يجب أن أطلع عليها حتى أقدر أهميتها بالنسبة لي ...
- وقطع ميلفرتون حديثه فجأة وصاح :
- ❁ يا إله السماوات .. أهذا أنت ؟

وجعل يحلق في السيدة التي رفعت القناع فبدا خلفه وجه
اسمر حاد الملامح به أنف معقوف وحاجبان سوداوان فوق عينين
يشفان بريق هائل ينجلي فيه قوة الإرادة والعزم وفم منفرج عن
بسمة شيطانية مرعبه .

وصاحت السيدة أخيراً :

❁ نعم أنا .. أنا المرأة التي حطمت حياتها .. التي قذفت بها
في الأوحال !!

وضحك ميلفرتون ضحكة مصطنعة يحاول فيها أن يخفي
الرعب الذي تملكه وقال :

❁ لقد كنت دائماً عنيدة لقد طلبت منك مبلغاً غير أنك لم
توافقى عليه ..

❁ وعندئذ بعثت برسائلي إلى زوجي .. إلى أشرف وأنبل
رجل على ظهر السفينة .. كنت أنت السبب في تحطيم
قلبه وتلطيف شرفه .. وأخيراً كنت السبب في تدهور
صحته وموته .. هل تتذكر تلك الليلة الأخيرة عندما
دلفت من هذا الباب وجعلت أتوسل اليك باكية
واستعطفك راجية أن تشملني برحمتك وأنت تضحك
أمامي كما تضحك الآن .. ولكن شتان بين الضحكتين

تدل على الظفر والاستهتار والعناد أما الآن فأنت تضحك
محاولاً إخفاء جبنك وخوفك . أنظر أن شفتيك ترتعشان ووجهك
يتمتع .. نعم .. لم تكن تتوقع أبداً رؤيتي هنا .. ولكن ليلتنا
الآخيرة هي التي علمتني كيف استطيع أن أصمد أمامك واقف
هذه الوقفة .. وعلى انفراد .. حسناً ماذا عندك لتقوله يا شارلس
أوغسطس ميلفرتون .. يا أدناً رجل في لندن بل في العالم بأسره
.. يملك الفضائح .. يا أقذر حشرة في الوجود!!

وكانت المرأة تهتز عقب كل كلمة تنطق بها من فرط انفعالها
وغضبها بينما اتخذت هيئة ميلفرتون صفة الصلابة وانتصب
واقفاً قبالها وقال :

❁ لا يتطرق إلى ذهنك السقيم أنني أخدع بهذه السهولة إن
في أمكاني أن أرفع صوتي ولا يلبث أن يهرع إلى خدمي
فأمرهم بالقاء القبض عليك .. ولكني سوف أصفح عن
كل الإهانات القذرة والنعوت التي شاء لسانك القبيح
إلصاقها بي . فأخرجني من الباب الذي دخلت منه حالا ..

فوضعت المرأة يدها في خصرها وارتسمت على فمها ابتسامة
الموت وصاحت في وجهه :

❁ سوف لا تخرب حياة بعد ، كما خربت حياتي .. فسوف

لا تحطم قلبا كما حطمت قلبي .. سوف لا تفضح أحدا بعد اليوم
بعد أن فضحتني .. سوف أخلص العالم من شرورك ودنائك
أيها الكلب الحقير القذر .. خذ .. خذ .. خذ .

وكانت قد أخرجت من حقيبة يدها مسدسا صغير الحجم
وأطلقت منه الرصاصة تلو الرصاصة في صدر ميلفرتون الذي
سقط على أرض الغرفة يتخبط في دمه وهو يصيح في صوت
متحشرج ..

❁ لقد قتلتني يا ملعونة !!

ووقفت المرأة تراقبة برهة وعندما تأكدت من خمود حركته
اندفعت نحو باب الفيراندا الذي دخلت منه وولت الأدبار !

كان في قدرتنا منع ما حدث ولكن أصابع هولمز التي شعرت
بها تتفرس في زراعي منعتنى وفي الواقع فقد جاءت هذه الحادثة
طبق رغبتنا .

وما أن أختفت السيدة حتى وجدت هولمز يسرع إلى باب
الحجرة الثاني ويوصده بالمفتاح وسمعنا في الوقت نفسه وقع
أقدام تهوول نحونا وفي سرعة البرق اقترب هولمز من الخزانة ففتح
بابها وأمسك بكلتي يديه جميع رباطات الرسائل والقهاها في
نيران المدفأة حتى أصبحت الخزانة فارغة وسمعنا بعدئذ وقع

الأقدام تقترب ثم الخدم وهم يطرقون الباب وتلفت هولمز حوله وأخذ الخطاب الذي كانت قد أرسلته القاتلة إلى ميلفرتون تحدد له فيه ميعاد المقابلة وأخفاه في جيبه ثم خلع المفتاح من ثقب باب الحجرة الثانى وأغلق به الباب الذى يقود إلى الخارج ثم همس في أذنى بسرعة :

❁ من هذا الطريق ياواطسون .. سنعبّر سور الحديقة .. ولا أدري كيف ابتعدنا عن البيت وإنما الذى أدريه هو أننى عندما نظرت خلفى وجدت نوافذ البيت كلها مضاءة وباب الشارع يفتح ورأيت أشباحا تروح وتغدو بسرعة واكتظت الحديقة بالناس وانبعثت الحياة في المنزل من جديد !!

وفجأة رأيت شخصا يقف في الفيراندا ويصوب بصره نحونا ثم يهبط بسرعة فقلت لهولمز الذى بدا لى أنه يعرف الطريق حق المعرفة فجذبني من يدي واخترق طريقا وسط الحشائش ونحن نسمع خطوات الرجل الذى يعدو خلفنا .. واعترضنا حاجز يرتفع نحو ست أقدام فتخطاه هولمز وبينما أنا أفعل مثله شعرت بيدي الرجل تمسكان برسغ قدمي غير أنى دفعته بها في صدره وتخلصت منه واقتفيت أثر هولمز وأنا الهث ..

وأخيرا وصلنا إلى كنيسة همبستيد .. وكنا قد قطعنا ميلين عدوا ونجونا من الرجل الذى كان يجرى خلفنا .. وأصبح كل شىء خلفنا ساكنا هادئا ..

تناولنا طعام الإفطار في منزلنا الصغير ببيكر ستريت وجلسنا ندخن عندما طرق الباب ففتحته مسر هرسون معلنه قءوم المفتش لستراد التابع لإءارة سكوتلانءيارء .

وكان من المعجبين بءكاء هولز وطرقه في البءء والاستقصاء وكثيرا ما طلب منه يد المساعدة في حل بعض القضايا العويصة الءى كان يناط به ءءيقها .. قال :

❁ نعمء صباءا يامسءر هولز .. هل لى أن أسألك عما إذا كنت مشغولا الآن ؟

❁ لست مشغولا لءرءة ءمنعنى من سماع ءءىءك ..

فأءاب لستراد في صوت يءالءة الياس :

❁ لقد ظننت أن في استطاعءك مساعءى في ءاءء همبسءىء الذى ءءء أمس ..

فءصنع هولز الءهشة ورفع ءاجبيه قاءلا :

❁ ماذا ءءء باليسءراء ؟

❁ ءرمة قءل . ولما كنت أعرء أنك ولوع بالقضايا الغامضة وهذه القضية من النوع الذى ءءب فقد ءئءك أملا مساعءى .

❁ ماذا حدث بالاختصار .. إننى لم أسمع شيئاً عنها إلا منك الآن ؟

❁ إنها قضية عويصة ومحيرة في نفس الوقت فقد وجدنا مستر شارلس اوغسطس ميلفرتون مقتولا .. بالطبع أنت تعرفه وتعرف حيله التى يبتز بها المال بالتهديد بإذاعة الفضائح لدرجة أنه أطلق عليه " ملك الفضائح " ولم يختف شىء ذو قيمة اللهم إلا حزم الرسائل التى كان يحتفظ بها في خزانة الحديدية ويظهر أن القتلة ألقوا بها في نيران المدفأة ليمنعوا فضائح كانت على وشك أن تذاع

❁ تقول القتلة .. اذن فليس القاتل واحداً ؟

❁ نعم .. وهم في الغالب اثنان وعندنا آثار حذاءيهما وأوصافهما فالأول طويل القامة أنيق الملبس نحيل الجسم والآخر وكان يعدو خلفه البستانى محاولا اللحاق به وكاد يطبق عليه لولا أن هذا رفسه بقدمه رفصة أصابت صدره وألقته على الأرض فهو متوسط القامة متين البنيان غليظ العنق له شارب صغير ..

فقال هولمز وهو يبتسم :

❁ إنك على حق فهى قضية غامضة .

ثم قال مازحا ..

❁ ولكن الأوصاف التي ذكرتها على الرجل الآخر تنطبق على
واطسون !!

وعندئذ جف حلقى ووقفت نبضات قلبي من مزحة هولمز الثقيلة
ولكني سمعت ليستراد يضحك ، والظاهر أنه أعجب بالنكتة
فقال :

❁ نعم لم اكن ادر انها تنطبق عليه هكذا ..

❁ آسف يا ليستراد لأنني لا أستطيع مساعدتك والسبب هو
أنني اعرف شارلس اوغسطس ميلفرتون حق المعرفة
وأعتبره حشرة قذرة في لندن وأحمد الله على أنه يتغاضى
عنها بل وينبغي أن يترك للقاتل فرصة الفرار مادام الله
عز وجل قد بعثه من لدنه لينفذ عدله الإلهي على يديه ..
كلا لاتعارضني .. لقد عولت على ألا أمد يدي في هذه
القضية فلا تغضب ..

وخرج ليستراد غاضبا يائسا بينما جلس هولمز دون أن ينبس
ببنت شفة وكان يفكر تفكيراً عميقاً وفجأة عندما كنا نتناول
طعام الغداء هب واقفا وصاح بي :

❁ لقد وجدتها ياواطسون .. لقد وجدتها .. ارتد ملابسك

بسرعة وضع قبعتك فوق رأسك .

وبعد أن فعلت قال :

❁ تعال معي ...

واخترقنا شارع بيكر ثم انحدرنا إلى شارع أوكسفورد حتى بلغنا (ملهى ريجنت) ووقف هولمز أمام لوحة بلورية كبيرة قد رصت خلفها صور الممثلات والراقصات وكنت أتابع نظراته فوجدتها تجول في الصور لحظة ثم تستقر على صورة كان يبحث عنها .. كانت صورة سيدة ترتدى ملابس اللعب وتربط رأسها الاسمر بشريط ملون مثبت به قطعة نادرة من الماس .. وكان أنفها معقوقا ماكدت ألقى عليها نظري حتى عرفت من هي .. وتذكرت اسم زوجها النبيل الذي مات حسرة وكمدا منذ بضعة شهور !!

لقد انتقمتم لزوجها .. ولنفسها .. بل للعالم أجمع !!

والقيت عيناى بعينى هولمز الذى وضع أصبعه على فمه محذرا أن أبوح بكلمة لمخلوق ..

ثم ابتعدنا عن الملهى !!

حيلة جهنمية ١١

كنت متكئاً على افريز النافذة أرقب حركة
المارة في الطريق وكان صديقى مستر شرلوك هولمز
جالسا أمام مكتبه يتصفح جرائد الصباح غير انه

ك

مالبث أن هتف باسمى فأدرت رأسى من فوق كتفى ورأيتة
يقول وهو يبتسم .

❖ لست ادرى يا واطسون لم أشعر هذه الأيام بكسل شديد
يعترى كل اعضائى .. يخيل إلى أن نجمى قد بدأ يأفل
وأن عهد الجرائم المعقدة والمشاكل العويصة قد تولى وحن
الوقت الذى يضطرنى إلى الجلوس في عقر بيتنا الصغير
بشارع بيكر أصطلى نيران المدفأة المتوهجة منتظراً دخول
سيدة تبحث عن كلب ضائع أو قط خمش وحيدها أو رجل
سقط منه كيس نقوده عندما كان يركب العربة ..

فدهشت لهذه المحاضرة الطويلة التى لم أكن أتوقعها ويظهر
أن شعورى ظهر على وجهى إذ لم يلبث هولمز أن قال :

❖ يخيل إلى أنك غير مقتنع بما أقول !

فأومأت برأسى وقلت :

❖ إننى فى الحقيقة أدهش لقولك .. ولكن ما الداعى الذى حفزك إلى هذا الظن ؟

ولم يجب على سؤالى بل تناول خطاباً من فوق المائدة وقدمه لى . وكان الخطاب مرقوما بتاريخ أمس وقد ظهر ختم البريد على مظروفه يحمل اسم بلدة (مونتاج) وقرأته فإذا به :

حضرة المحترم شرلوك هولمز

بحثت عن عمل مدة طويلة وأخيراً وفقت اذ عرضت على وظيفة مربية وسوف أتشرف بمقابلتك غداً فى منتصف الساعة الحادية عشر صباحاً لاستشارتك فى الأمر قبل القبول أو الرفض.

وتقبل تحياتى .. فيولت هانتر

فسألتة وأنا ألقى نظرة خاطفة إلى ساعتى :

❖ ولكن هل تعرف من هذه فيوليت هانتر ؟

❖ كلا .

وما كاد ينتهى من كلمته حتى سمعنا طرقة على الباب الخارجى فقلت وأنا أتأهب لفتحه :

❖ ومن يدريك يا هولمز لعل هذا الحادث التافه قد يتمخض عنه جريمة معقدة محبوكة .

وما أن فتحت الباب حتى دخلت فتاة في مستهل عمرها ترتدى ثيابا أنيقة رغم بساطتها ورخص ثمنها تدل ملامح وجهها النضير على العزم وقوة الإرادة .

وبعد أن قدم إليها هولمز مقعداً عرفته بنفسها فإذا هي صاحبة الخطاب الذى كنا نتحدث عنه قبل مجيئها وعنئذ طلب منها هولمز أن تفضى إليه بكل ما يقلق بالها ثم تمدد على مقعده الطويل وأغمض عينيه وأشبك أصابع يديه بعضهما ببعض على صدره شأنه كلما أراد الاصغاء ولكن من لا يعرفه يظن أنه في سبات عميق .

وابتدأت مس فيولت هانتر قصتها قائلة :

❁ لقد كنت أقوم بتربية أولاد الكولونيل سبنس مترو الذى نقل الآن إلى هاليفاكس وبعد سفره مرت على شهور طويلة وأنا أبحث عن عمل أقتات منه ولكن ضاعت جهودى سدى وشاء الحظ أن أقابل صديقة قديمة نصحتنى بالالتجاء إلى محل " واستاواى " الذى أنشئ خصيصا للتوظيف ففعلت وكنت أمر عليه كل أسبوع مدة طويلة حتى كان الأسبوع الماضى اذا استدعتنى " مس ستونر " مديرة المحل وعندما دخلت غرفتها لم تكن وحيدة بل كان معهل رجل ضخم الجسم باش الوجه منتفخ الخدين يضع

على عينيه الحمرأوين نظارة ذهبية ما كاد يرانى هذا
الرجل حتى قفز من فوق مقعده وهو يصيح في صوت ملوثة
الفرح :

❁ هذه هى التى أريدها يامس ستونر ...

وكأنما خشى أن يكون قد أقدم على عمل يغير اللياقة فتمالك
نفسه وتكلف الهدوء وسألنى في رقة :

❁ هل تبحثين عن عمل يا آنسة ؟

❁ نعم ياسيدى .

❁ وكم أجرك ؟

❁ كنت أتقاضى أربعة جنيهات شهريا عند الكولونيل سينس
متور فرقع حاجبيه الغليظ في دهشة وقال :

❁ يالله .. ياله من ظالم .. فتاة مثلك تتقاضى هذا المبلغ
التافه .. اسمعى يافتاتى سوف أناولك مائة جنيه سنويا
على أن تقومى بتربية طفلى الصغير .

وعقدت الدهشة لسانى وخلت نفسى حاملة ولم أصدق كلمة
واحدة مما سمعته أذنأى وجعلت أحملق في هذا المعتوه الذى
يعرض على مائة جنيه سنويا مقابل هذا العمل العادى وكان هو

منهمكا في اخراج محفظة الضخمة من جيبه ومالبث أن أعطاني ورقة مالية فئة الخمسين جنيها قائلا :
❁ لك أن تبتاعى بهذا المبلغ مهماتك ولوازمك قبل تسلمك العمل .

فسألته عن عنوان المنزل فأجاب :

انه بالكويريتس .. في هامب شير .

ولعل أغرب ما فى قصتى يامستر هولمز هو قوله بأنى ألبس الثياب التى يقدمونها إلى وأن أقص شعرى قبل البدء فى العمل! لم أدر ياسيدى معنى هذه الطلبات الغريبة وانفرض جدلا أننى تفاضيت عن طلبه فيما يختص بالملابس ولكن قص شعرى ماشأنه بالوظيفة التى سوف أشغلها .

وتضاربت هذه الأفكار فى رأسى فرفضت هذا الطلب الأخير غير أنه عاد يفهمنى أن هذه طلبات زوجته وان طلبات النساء مقدسة ويجب أن ينفذها .

لأطيل عليك ياسيدي فكررت رفضى ازاء هذا الشرط الأخير وعدت إلى منزلى بعد أن رددت اليه مبلغ الخمسين جنيها الذى أعطانى اياها ولكن لما وصلت إلى المنزل حتى جعلت أعض بنان الندم على عدم قبولى ورحت أنعت نفسى بالحرق والطيش ولم أنم

طول الليل إذ ظل شبح المائة جنية يغرينى ويتلاعب أمام عيني
فعولت أخيراً على الرجوع إلى مس ستونر في اليوم التالي ولكن
قبل خروجي في الصباح ورد لى خطاب من نفس الرجل وهاهو
ذا.

وأخرجت خطاباً من حقيبتها وقدمته إلى هولمز بينما وقفت أنا
خلفه فاذا فيه :

كوبرييتس .. هامبشير

" عزيزتى مس هانتر

لاتدهشى لورود هذا الخطاب فقد أخذت عنوانك من مس
ستونر مديرة محل " واستاواى " وأما السبب الذى من أجله
حررت هذا اليك فهو قد تكونين تحولت عن عزمك وعندما أخبرت
زوجتى بأمرك أبدت رغبة شديدة لرؤيتك عندما وصفتك لها
ونحن على أتم استعداد لاعطائك مبلغ ١٢٠ جنيها سنوياً على
أن تقبلى الشرط الأخير وأما من جهة الثياب فلا تكبدى نفسك
مشقة شرائها فعندنا ما يكفيكى من ثياب ابنتنا الكبرى التى
تقيم الآن في فيلاديلفيا ولكن زوجتى تفضل الملابس الزرقاء
على غيرها من الالوان فأرجو عند قبولك اخطارى عن ميعاد
حضورك كى أنتظرك ونشتر بالعربة .

وبعد أن إنتهى هولمز من قراءته سألته قائلة :

❁ والآن مارأيك ياسيدي ؟ هل أذهب ؟

ففكر هولمز برهة ثم قال :

❁ لو كانت لى أخت في مثل مركزك لنصحتها بعدم الذهاب

❁ وماذا تريبامستر هولمز في هذه الشروط الغريبة ؟

❁ انها شروط مربية فضخامة المرتب تثير الشك اذ كان في

استطاعتهم أن يدفعوا لأى فتاة أخرى اربعين جنيها في

السنة فقط مقابل القيام بأتفه الخدمات فلا بد من سبب

عظيم يدعوهم إلى اختيارك دون سواك .. وعلى كل حال

اكتبى للمستر روسل بالقبول وقص شعر رأسك وسافرى

وتيقظى جيداً إلى ما يحدث حولك وإذا شممت رائحة خطر

يتهددك فابرقى إلى .

فوافقت الفتاة وانصرفت ..

ومضى على هذا الحادث أسبوعان ونحن لانتفك نفكر فيما

حل بالفتاة وهل نالها خطر أو كان ماتوهمناه لها ليس له أى

أساس وماهى إلا مجرد شكوك لاصحة لها .

وذات ليلة بينما كنت على وشك الدخول إلى العربة المخصصة

لنومى إذا بطارق يطرق الباب الخارجى ثم لم تلبث أن دخلت مسر هرسون وفي يدها برقية ناولتها لصديقى هولمز الذى كان وقتئذ يجرى بعض تجاربه الكيماوية التى اعتاد القيام بها عندما يحسن بأنه في غير حاجة إلى النوم ..

ومزق هولمز الغلاف الأصفر وقرأ البرقية في صوت عال :

"سأنتظرك ظهر غد في فندق الحصان الأسود بونشتر ، هانتر"

وبعد أن تحدثنا قليلا في أمرها عزمنا على السفر إليها في اليوم التالى بقطار الساعة التاسعة والنصف الذى سيصل إلى ونشتر بعد ساعتين ..

وفي الساعة الحادية عشرة كان القطار ينساب كالأفعى وسط المناظر الطبيعية الجميلة والوديان التى تتألق بالزهور الفياحة وتقوم على جوانبها الدوح العظيمة متفرعة الأغصان وقد انتشرت العصافير عليها تزقزق ألحان الخلود وأناشيد الأبد .

وكان هوامز جالسا أمامى في المقصورة وبجانبه كوم من الصحف والجرائد التى ابتاعها من المحطة ليقطع بها الوقت ولم ينبس طول الطريق بينت شفة حنى إذا وقف القطار في المحطة المقصودة ترك قراءة الصحف جانبا ونزلنا قاصدين فندق الحصان الأسود الذى نوهت عنه مس هانتر في برقيتها ..

ولم تجد صعوبة كبيرة في الوصول إلى مكانه فوجدنا مس
هانترا قد حجزت لنا حجرة مريحة تتوفر فيها كل ما نحتاج إليه
لمدة قصيرة .

وكان يبدو على وجه الفتاة علامات الخوف الشديد والانفعال
المتزج بالرهبة فما أن رأتنا حتى هتفت وقد عاد إلى وجهها المرح
والإطمئنان ..

❁ مستر هولمز .. أحمد الله لقد أتيت .. لقد كنت جد خائفة
من عدم حضورك .

فابتسم هولمز وقال وهو يربت على كتفها :

❁ إنك لاتعرفين هولمز يافتاتى .. إن هولمز إذا وعد وفي
بوعده لايعوقة عائق مهما كان .

فأجابت الفتاة على قوله بابتسامة رقيقة كانت هي كل ماتملك
حيثئذ . وكأنا وجدت علينا آثار التعب من جراء السفر فلم
تبتدىء قصتها حتى استرحنا قليلا وكان هولمز قد أخرج غليونه
العتيد وجعل ينفذه على حافة حذائه ثم ملأه بالتبغ وأشعله
وظفق يدخن في لذة وسكون .

وأخيرا قال :

❁ والآن يامس فيوليت هانتير أرجو أن تتكرمى بسررد كل
ماحدث لك بالتفصيل منذ أن حضرت إلى هذه الجهة ..
فلزمت الفتاة الصمت برهة كأنما تسترجع شوارد ذهنها ثم
ابتدأت قائلة :

❁ استقبلنى مستر روكاسل بالقرب من المحطة وسألنى أن
أصعد إلى العربة التى كان يجهزها لمقدمى فأطعته حيث
قادنى إلى منزله في كوير بيتس وما أن دلفنا إلى البيت
حتى قدمنى إلى زوجته البدينة وعرفنى بطفلة الصغير
وقد لاحظت أن مسز روكاسل كثيرة الصمت يعلو وجهها
شحوب غريب رغم كونها لا تتجاوز الثلاثين من عمرها
وعلمت منها أثناء الحديث أنهما متزوجان منذ سبعة أعوام
وإن مستر روكاسل كان متزوجا قبلها من امرأة ماتت بعد
أن أنجبت منه ابنة تقيم في فيلاديلفيا وعندما سألته عن
السبب الذى دعا لانفصاله عن ابنته أجابنى بأنها تمقت
زوجته الحالية مقتاً شديداً كأنما هى تغار منها إذ
أصبحت تحتل قلب أبيها مكان أمها وخوفها من حدوث
مشاغبات بينهما تعكر صفو الحياة فضل ابعادهما
بعضهما عن بعض .

ورغم ملاحظتى أن الزوجين يتمتعان بحب متبادل إلاأننى

لاحظت أن الزوجة تبطن في أعماق نفسها سراً خفياً تحرص على كتمانها لأني كثيراً ما فاجأتها تبكي عندما تخلو إلى نفسها . غير أن الذي أثر في نفسي تأثيراً سيئاً هو سلوك الخدم وهما اثنان رجل شرس متوحش لا يكاد أى شخص يراه حتى يشعر بالكره نحوه وهو علاوة على ذلك سكير يدمن الشراب ويدعى تولر أما زوجته فهي طويلة القامة مفتولة العضل ضخمة الجسم قليلاً ماتبتسم ونادراً ماتتكلم ..

وفي اليوم الثالث لوجودى وسط هذه الأسرة كنا نتناول طعام الإفطار عندما همست مسز روكاسل في أذن زوجها شيئاً لم أسمعه غير أنه مالبث أن ابتسم إلى قائلاً :

❁ نحن نشكرك يامس هنتر على قص شعرك كما طلبنا منك
والآن دعينا نرى ما إذا كان الثوب الأزرق الملقى فوق
فراشك يوافقك أم لا ؟

وبعد أن إنتهينا من تناول الأفطار دلفت إلى مخدعى فرأيت الثوب وأدهشنى زرقته الفاقعة وغرابة شكله الإجمالى وكان يبدو عليه أنه سبق استعماله وعندما لبسته وجدته ملائماً لجسمى كل الملاءمة كأنه فصل خصيصاً من أجلى ولا أطيل عليك ياسيدى إننى رضخت لإرادتهما وإرتديته .

وعندما وجداني فيه رأيت نشوة السرور والفرح قد إرتسمت
على وجهيهما بينما صاح روكاسل لزوجته في صوت مرح وهو
يصفق :

❁ ألم أقل لك ياعزيزتى إنه لا يصلح إلا هي في هذه .

وقطع جملته عندما أرسلت إليه زوجته نظرة لوم وتأنيب ثم
قام إلى مقعد أمام النافذة الردهة اليسرى بحيث يكون ظهرى
إليها ثم جعل يقطع أرض الصالة جيئة وذهابا وهو ينثر النكت
المضحكة والقصص المرحية حتى لهثت من كثرة الضحك بينما
كانت زوجته تكتفى بالإبتسام من وقت لآخر . وبعد نحو ساعة
أمرنى بخلع الثوب الأزرق وارتداء آخر يليق بعمل المنزل .

ومضى يومان ثم أعيدت المهزلة فارتديت الثوب الأزرق ،
وجلست على نفس المقعد وظهرى متجه إلى النافذة وهو يروح
ويجىء مرسلا نكاته وضحكاته بين لحظة وأخرى ثم ناولنى كتيباً
صغيراً أصفر الغلاف وطلب منى أن أقرأ في منتصفه مايقرب
من عشر دقائق ثم أمرنى بالكف عن مطالعته وخلع الثوب
وارتداء آخر .

ومنذ ذلك الحين وقد أخذ الشك يدب في نفسى حتى تطرق بى
الظن أتنى أعيش في بیمارستان يحوطنى جو غريب كله جنون

في جنون .. ولاحظت أنهما يعملان جهدهما كي أدير رأسي
لناحية النافذة المفتوحة خلفي غير أني لم أعدم وسيلة تنيلني
مبتغاي والمثل يقول :

" كل ما هو ممنوع مرغوب ! " يامستر هولمز .. وجعلت أفكر
في وسيلة تكشف لي عما يدور خلف ظهري حتى عذمت أخيراً
على أمر . فأخفيت مرآة صغيرة في طيات منديل عكست ما أريد
رؤيته .

شاهدت رجلاً ملتجياً يقف في طريق سوئها مبتون ويصوب
نظره إلى ناحيتي واكتفيت بما رأيت هذه المرة فأخفيت المرآة في
المنديل مشفقة من أن يلاحظ مستر روكاسل أو زوجته ما أفعل
ولكن جاء عملي هذا بعد أوانه إذ رأت مسز روكاسل كل شيء .
ومالت على زوجها تقول :

❁ جفري ... يوجد رجل ملتج في الطريق ينظر إلى مس
هانتر نظرات مريبة .

فقطب مستر روكاسل حاجبيه واكفر وجهه وسألني بحدة .

❁ هل تعرفين ذلك الرجل يا مس هانتر ؟

وعندما أجابته سلباً استطرد بنفس اللهجة :

❁ أرجو ان تنهريه كى يذهب بعيداً عن البيت .

فرضخت لمشيئته بينما أسدلت مسر روكاسل الستار على النافذة فى عصبية زائدة وهى تسب وتشتتم .

ومر على هذا الحادث أسبوع لم أرتد فيه الثوب الإزرق ولم أجلس وظهرى إلى النافذة كعادتى . ونسيت أن أذكر لك يا مستر هولز أننى فى اليوم الأول لوصولى إلى الكوبريتس قادنى مستر روكاسل إلى باب الحديقة وطلب منى أن أنظر إلى شق صغير فيه ولشد ما روعت وذعرت عندما رأيت وسط الظلام المحالك المدلهم عينين ضيقتين ينبعث منهما الشرر وكأنما حاول مستر روكاسل أن يهدىء أعصابى فربت على كتفى قائلاً :

❁ لا تخافى يا مس هانتر فهذا ليس سوى كلبنا واسمه كارلو ونطلقه ليلاً لحراسة البيت فحاذرى منه ولا تتخطى عتبة البيت فى الليل والا عرضت نفسك لخطره الشديد ولا ادرى يا مستر هولز إذا كنت قد ذكرت لك من قبل اننى بعد أن قصصت شعر رأسى وضعته فى حقيبتي الصغيرة التى أحضرتها معى . وفى ذات ليلة بعد ان انتهيت من عمل البيت دخلت مخدعى لأرتب لوازمى وكان أثاث المخدع يتكون من دولاب متوسط الحجم مقسم قسمين على هيئة أرفف والقسم الثانى خال منها ومعد لوضع

الفساتين وفراش صغير من النوع السفري وثلاثة مقاعد عادية ومنضدة مستطيلة وبجوار النافذة يوجد دولاب آخر صغير به ثلاث أدراج وجدت درجين منها يمكن فتحهما لأنهما غير موصدين أما الدرج الثالث فكان مغلقا بالمفتاح ودفعني حب الإستطلاع أن أجرب في فتحه مفاتيح الدولاب الكبير ففتح بسهولة ولشدة دهشتي وجدت بداخله شعري المقصوص الذي كنت أخفيه في حقيبتي ورحت أنحقق من ذلك ففتحت حقيبتي فإذا بشعري لا يزال فيها وقارنت الشعرين بعضهما ببعض فوجدتهما لا يفرقان في الطول واللون وفي كل شئ وأعدت الشعر الأول أخيرا إلى مكانه وأغلقت عليه الدرج الثالث ولم أفتح أحداً في أمره .

وفي ذات اليوم كنت أتنزه في الحديقة عندما رأيت مستر روكاسل وكان قابضا في يده على عدة مفاتيح في حلقة كبيرة وكان ثائر الأعصاب شديد احمرار الوجه وأغلق الباب بشدة ثم سار متجاهلا رؤيتي رغم إنني حييسته ولكنه عاد بعد لحظة واعتذر إلى سلوكه حيالي وكان في جانب من الحديقة مبنى مهجور فانتهزت الفرصة لسؤاله عنه وعندئذ أجابني بأنه من هواة التصوير الشمسي وقد خصص هذا الجزء من البناء لتحضير أدواته اللازمة من تلميع وطبع وتثبيت وغيره . ولكني لم أقتنع بسهولة لأن عينية كان يطل منهما الكذب فعولت على أن أميط

اللثام عن السر لكى أشبع فضولى ولا أخفى عنك أن مستر
روكاسل لميكن هو فقط الذى كان يدخل هذا الجناح بل كثيرا
مارأيت الخادم تولر وزوجته يدخلان وهما يحملان كيساً كصنوعا
من الكتان الأسود .

وحدث أن انتهزت فرصة خروج رب البيت وزوجته وولده ونوم
تولر بعد إسرافه في الشراب فهرعت إلى ذلك الجناح المهجور
وكان من حسن حظى أن المفتاح في ثقب الباب فأدركته بهدوء
وانسلت إلى الداخل بعد أن اوصدت الباب خلفى دون صوت .

وجدت أمامى ردهة كبيرة مظلمة عاطلة من الأثاث بها باب
يؤدى إلى جملة أبواب كلها مفتوحة إلا بابا واحداً مغلقا بعارضة
كبيرة من الحديد وقفل ضخمة وكان خيط من النور يتسرب من
طاقة في السقف المرتفع وزاد من روع المكان وحشيت الغبار الذى
يعلو الجدران والعناكب الكثيرة المتشابكة في الأركان .

وكان السكون يغشى المكان . وسكون قلما تراه في مدينة
الأموات .

غير أن السكون لم يدم طويلا . إذ طرق أذننى وقع خطوات
خفيفة سريعة داخل الغرفة الموصدة ، وعندئذ تملكنى رعب شديد
وجزع هائل وعلمت جهدى للخروج من ذلك المكان المخيف في

أقرب وقت فحاولت الجرى ولكنى أحسست بارتخاء يقرب من
الذهول يسرى في بدنى ويمنعنى من الحوكة وكأنما كنت أغوص
بأقدامى في محيط من الماء .

وأخيراً ملكت زمام نفسى وطفقت أجرى بكل ما تبقى لى من
قوة حتى خرجت من ذلك الجناح الجهنمى .

وإذا بمستر روكاسل يتلقفنى بين ذراعية وهو يصيح في صوت
بغيفض :

❁ كنت أعلم أنك داخل هذا الجناح عندما وجدت المفتاح في
ثقب الباب .

فقلت وأنا أمسك بتلابيبه :

❁ إننى خائفة .. فالردة مظلمة موحشة والعناكب تغمر
الأركان .

إمتلأت نفسى رهبة وفزعاً ! فسألنى وهو يهزنى من كتفى :

❁ ماذا رأيت أيضاً .. انطقى .

فأجبتة وأنا ألهث وقد صرت أكثر فزعا من ذى قبل .

❁ لا أدرى .. ولا أعلم ...

وعندئذ نظر إلى بعينين يتطاير منهما الشرر وقال :

❁ حسنا لقد علمت الآن والويل لك كل الويل إذا حدثتك نفسك بدخول هذا الجناح مرة أخرى .

كانت ليلة مرهقة فظيعة تلك التي قضيتها بعد ذلك الحادث يامستر هولمز إذ ازدحمت في ذهني الخواطر ولعبت في عقلي الشكوك القاتلة وخفت أن يحاول الوحش الانتقام مني ووجدت أن الفرصة سانحة لكي أبرق إليك حسب وعدك لي .

والآن إنتهت قصتي يامستر هولمز وها أنت ذا ترى أنها قصة غريبة شاذة محاطة بجو قاتم من الغموض والإبهام .. كل مافيهما غريب وكل مافيهما مريب فما ترى في ذلك ؟

وكان هولمز يصغى إليها وهو مغمض العينين اللذين يشبهان عيني الصقر في ضيقهما وسحب الدخان تتصاعد من متبغفه في جو الغرفة فتعبقه بلون يشبه الضباب أثر ليلة ماطرة .

ولما لم يجب عن سؤال الفتاة قالت وهي تستعد للإلتصاف :

❁ أظنك تحتاج لوقت كاف للتفكير يامستر هولمز وسوف أتركك الآن إذ يتحتم على أن أعود إلى البيت قبل حلول الساعة الثالثة لأن المستر روكاسل سيذهب مع زوجته لزيارة أحد أقصاريه وسوف يبيتان عنده ويجب أن أرى الطفل .

وأخيرا قام هولمز من مقعده وظل يروح ويحيى في الحجرة وكأنما عزم على أمر خطير فتوقف عن السير وتفرس في مس هانتر وسألها :

❁ وهل لم يزل تولر الآن نائما من تأثير الخمر !

❁ نعم ..

وهل أنت متأكدة من أن مستر روكاسل وزوجته سوف يبيتان خارج المنزل هذه الليلة ؟ ❁ نعم ..

إذن اعلمي يامس هانتر أن سلوكك إزاء هذه الحوادث الغامضة تدل على مقدار شجاعتك وذلك ماجعلنى أتجاسر وأطلب منك شيئا .

❁ سل ماشئت يامستر هولمز فلن أتوانى عن القيام به .

❁ إذن فإصغى إلى . تنحصر خطتنا أنا ووطسون في الحضور إلى البيت في الساعة السابعة من مساء اليوم فيكون مستر روكاسل وزوجته في الخارج ونأمل أن نجد توار لا يزال تحت تأثير السكر وإذن لا يبقى أمامنا بعدئذ غير مسز توار فأرجو أن تستدريجيا إلى إحدى غرف البدروم وهناك تدفعينها إلى الداخل وتوصدى عليها الباب بالمفتاح .

❁ سأفعل كل ماتطلبه منى ياسيدى ولكن اننى لم أفهم .
فقاطعها هولمز :

❁ لم تفهمى ماذا ؟

❁ لم أفهم سبب هذه الحوادث الغريبة . فهل استنتجت أنت
شيئا يامستر هولمز من قصتى ؟

فعاد هولمز إلى مقعده وتمدد عليه ثم أغمض عينيه وشبك
أصابعه على صدره ثم قال :

❁ إن كل ما أستطيع استنتاجه الآن هو أنهم أتوا بك إلى هذا
القصر لتحلى مكان شخص ما وهذا الشخص سجين بين
جدران الغرفة الموصدة في الجناح المهجور .

❁ ومن هذا الشخص السجين ؟

❁ هو مس روكاسل بلاشك لأنك تشبهينها في طول القامة
وقسمات ولون الشعر ولاريب أنها كانت مقصودة الشعر
لمرضها أو لمرض آخر نجهله ومن ذلك يتضح السبب في
الحاحهم الشديد عليك لقص شعرك !.

أما الرجل الملتحى الذى يقف في طريق شوتها مبتون ينظر
إلى ناحيتك فيغلب على ظنى أنه صديقها أو يمت إليها بصلة ما

ولما كنت تلبسين ثوبها الأزرق التى كانت تفضل دائما ارتداؤه
عندم تجلس أمام النافذة الوسطى كان يظنك مس روكاسل !

وما كان مستر روكاسل يقوم بحركاته المضحكة ونكته المرحه
إلا ليحملك على الضحك والقهقهة ليظن الرجل الملتحى أنك
سعيدة مغتبطة في حياتك وأنك لا تحبينه بدليل أنك نهرتة من
النافذة ليبتعد ، وأما الكلب الهائل المحبوس في الحديقة فكانوا
يطلقونه ليلا حتى لا يستطيع الرجل الملتحى الدنو منك
ومحادثتك !!

وفي الميعاد المحدد كنا أمام باب القصر الحديدى الكبير بعد
أن تركنا حقائبنا في فندق آخر قريب من القصر وكانت مسز
هانتر في انتظارنا بالحديقة .

وهمس هولمز في أذنها :

❁ هل كل شئ على مايرام ؟!

فأجابت في صوت خافت وهى تقدم إليه حلقه من المفاتيح
المصطنعة .

❁ نعم .. وقد حصلت على هذه المفاتيح فعسى أن تنفعك وقد
عملت أقصى جهدى لتطابق المفاتيح الأصلية .

فغمغم هولمز :

❁ لقد أحسنت يامس هانتر .

وفي بطن شديد تسللنا في الحديقة بين الأشجار القصيرة حتى وصلنا إلى الجناح المهجور وفتحنا الباب بعد جهد وسرنا في الممر الطويل حتى وقفنا أمام الباب ذى العارضة الحديدية فقطع هولمز الحبل الغليظ الذى يربط إحدى نهاياتها بالجدار ورفع العارضة ثم جرب جميع المفاتيح واحد بعد واحد حتى عثر أخيراً على الصالح منها فأداره في الثقب دورتيين وهمس لمس هانتر :

❁ سندخل أنا وواطسون بينما يستحسن أن تنتظرينا في الردها .

ودخلنا الحجرة ولشدة ما دهشنا حينما وجدناها خالية إلا من فراش صغير ومنضدة متداعية قوائمها وسلّة من القش المحطم بها بعض الملابس وكان ينير الغرفة الضيقة طاقة في السقف يتدفق منها الضوء ...

وغمغم هولمز قائلاً :

❁ إذن اختطفها النذل .. ولكن كيف تمكن من ذلك والباب موصد !!

وسكت لحظة جال فيها يبصره في أنحاء الغرفة حتى رأى
الطاقة العلوية فخطب جبينه بكفه وصاح :

❁ يالى من غبى !!

وأشار إلى الطاقة حيث وجد سطحه ..

وكانت مس هانتر قد دخلت الغرفة لما قالت :

❁ ولكن هذا مستحيل .. إذ لم يكن هناك سلم عندما خرج
مستر روكاسل ..

❁ ربما رجع ثانية ..

وأصاخ سمعه وقال هامسا :

❁ أسمع وقع أقدام تقترب يا واطسون فضع مسدسك في
أقرب مكان لديك ..

وماكاد ينتهى من تحذيره حتى ظهر على عتبة الباب شخص
ضخم الجثة ينبعث من عينيه بريق مخيف وفى يده هرواة غليظة
وعندما رآته مس هانتر أفلتت من فمها صيحة مخيفة وتراجعت
إلى الخلف خطوتين .

بينما تقدم هولمز إليه قائلا فى حدة :

❁ ماذا فعلت بإبتك أيها الشقى ؟!

فأجال الرجل بصره بيتنا ثم صاح :

❁ وما شأنكم أنتم أيها اللصوص .. ويل لكم .

قال ذلك وهرع إلى حجرة الكلب " كارلو " ففتح بابها بينما رأينا في طرف الحديقة رجلا ضخما الجثة ممتقع الوجه يتعثر في مشيته وهو يقول بلسان متلعثم .

❁ بالله .. الذي اطلق سراح كارلو الذي لم يذق طعاما منذ يومين ..

وكان الكلب مقبلا نحونا بهيئته البشعة ورأيتة وهو يهجم على صاحبه ويطرحه على الأرض ويلغ في دمه فلم أر بدأ من أن أصوب عليه مسدسى فأردته قتيلا ..

وقمت أنا وهولمز بحمل روكاسل إلى فراشه وكان لا يزال به رمق من الحياة وأرسلنا تولر لينبئ ربة البيت بما حدث لزوجها كي تعنى به وبينما نحن في حالنا تلك إذ فتح الباب ودخلت منه امرأة طويلة القامة مفتولة العضل ما أن رأتها مس هانتر حتى صاحت في صوت خافت :

❁ مسز تولر !!

فقالت هذه :

❁ نعم يا سيدتي فقد اطلق سراحى روكاسل عند مجيئه مباشرة .. ليتك ياسيدتي اطلعتنى على كل شىء بدلا من سجنى في البدروم لكنت نصحتك بالعدول لأن كل ما سوف تقومين به سوف يذهب إدراج الرياح ..

فتفرس فيها هولمز وقال :

❁ إذن فكنت تعلمين سر هذه الحوادث يامسز تولر لكم نكون شاكرين لو اطلعتنا على كل ما تعرفينه ..

فجذبت السيدة مقعداً وجلست عليه وهى تلهث وقالت :

❁ أود ياسيدى أن أذكرك قبل كل شىء ، أننى أحب مس اليس ابنة سيدى جيفرى روكاسل التى لم تكن سعيدة في يوم من الأيام بعد أن تزوج والدها بمجرد موت زوجته الأولى .

ولكن رغم ذلك فلم تستطع رؤية أحد شقوق تطمئن إليه وتبثه شكواها المريرة إلى أن قابلت مستر فاوولر عند إحدى صديقاتها حيث أقامت حفلة ودعتها إلى مشاهدتها فتعرفت هناك على مستر فاوولر وأنست به وشعرت من ناحيتها بميل إليه ولا أكثر عليك يا سيدى فقد تبادل معها حبا بحب وكنت أعلم أن أمها تركت لها بعد وفاتها ثروة كبيرة فألقت مقاليد أموالها في يد

أبيها الذي أخذ يبعثر فيها دون حساب وعندما وصل إلى مستر
روكاسل أمر حب اليس خاف أن يحاول مستر فاوئر بعد زواجها
منه أن يستولى على ميراثها حسب نص القانون ويضطر أبوها
ووصيها إلى تقديم حسابه على المبالغ التي أنفقها ففكر في حيلة
جهنمية إذ جاء ذات يوم بصك كتب فيه إنها توافق على إيداع
كل أموالها في حوزة أبيها سواء تزوجت أو لم تتزوج غير أن مس
إليس فهمت حيلته وأبت التوقيع على الصك وعندئذ جعل
يضايقها ويذيقها من العذاب ألوانه وصنوفه حتى أصيبت أخيراً
بحمى في المخ كادت تؤدي بها لولا عناية الله كانت لها راصدة
وقد نصحنها الطبيب الذي كان يعالجها إذ ذاك بقص شعرها وبعد
سنة أسابيع تحسنت حالتها .. كل ذلك ومستر فاوئر يزداد هياماً
بها اليوم بعد اليوم .. وخاف أبوها أن يكون تحسن صحة مس
إليس داعياً لاستئناف علاقتها بصديقها فعاد إلى مقاومته من
جديد وسجنها في ذلك لجناح المهجور وأخذ يبحث عن فتاة تشبه
مس إليس لتحل محلها حتى عثر أخيراً على مس هانتر كى
يخدع خطيبها غير أن الأخير قابلنى ورشانى فسقيت زوجى كثيراً
حتى غاب عن صوابه وبذلك اختطف سيدتى الصغيرة ولا شك
الآن نهما بلغا مسجل العقود ليعقدا قرانهما ..

الرجل الغامض

ق ولاحظت في الحال أن سلاك ينظر إلى القضية
بنظرة تختلف اختلافاً تقضى صديقى مستر
شارلوك هولمز المدة التى بين عامى ١٨٩٤ و
١٩٠١ فى عمل مرهق جبار استنزف كثيراً من قوته وأقول
وأنا واثق من قولى إنه لم تمر قضية صعبة الحل أو لغز غامض
استعصى على رجال البوليس فهمه ولم يستشر فيه هولمز فى هذه
الثمانى سنوات وليس الأمر متوقفاً على هذا فقط إذ كان إلى
جانب هذه القضايا قضايا أخرى خاصة أنيطت به وتكاد تبلغ
المائة وكان بعضها شاذاً غريباً مليئاً بالحوادث غير العادية
والمعقدة فكان الرجل الوحيد الذى أبدى مهارة لا يتمتع بها شخص
عادى .. وقد نجح فى كثير منها نجاحاً غطى على فشله فى
البعض القليل ولما كنت أثبت كل هذه القضايا على شكل
مذكرات ولما كنت قد ساهمت بالفعل فى كثير منها لذا أجد من
الصعب إنتقاء القصص التى تعرضها على الجمهور ولكنى سوف
أتبع القاعدة التى سرت عليها منذ أن أخذت على عاتقى إذاعتها
وهى إنتقاء القضايا التى تمتاز بغرابتها وغموضها وذكاء المجرم
وبذل جهده فى إخفاء معالم جريمته ثم النتيجة التى توصل هولمز

إليها باستعمال المنطق السليم والتفكير الصحيح فيستدرج المجرم حتى يحضر على قدميه ثم يطبق عليه .

ولهذا السبب سوف أسرد على القارئ كل الحوادث التي لها علاقة بالمس فيولت سميث وما أدت اليه أبحاثنا الغربية وكيف استحال الحوادث التي يخيل إلى الإنسان في أول الأمر أنها بسيطة إلى مأساة تغتصب الرحمة وتستدر الدمع ورغم أن هذه القضية تحيط بها ظروف جديدة غير الظروف التي مرت على هولمز طول المدة التي امتهن فيها مهنة البوليس السري الخاص فقد يمكن من الإيقاع بالمجرم الحقيقي بعد أن ظننت أن هذه الظروف ربما تكون عائقا أو حاجزا يسبب له الفشل ..

بالرجوع إلى مذكراتي التي كتبتها في عام ١٨٩٥ اتضح لي أنه قبل يوم السبت الموافق ٢٣ ابريل لم نكن نعرف شيئا عن مس فيوليت سميث وأتذكر أن هولمز لم يقوم بواجب الترحيب بالإستقال عند مازارتنا لأنه كان مشغولا وقتئذ في قضية هامة ذات عقد ملتوية هي قضية " جون فنسان هاردن " وهو المليونير وصاحب مصانع الطبايق المعروف .. أقول إنه كان مشغولا لدرجة أنه لم يحاول أن يجرب نظرية " تتابع الأفكار وتسلسلها " المغم بها قبل كل شيء آخر في هذه الزائرة لأول مرة لحظت هولمز على غير عادته - ينظر بخشونة الى حتى خيل إلى أنه سوف يرفض

الإصغاء إلى قصة هذه الفتاة طويلة القامة ذات الوجه الجميل والملامح الجذابة التي هبطت على منزلنا بشارع بيكر في إحدى الأماكن تسأله المعونة وإبداء النصيح ..

وقد فطنت إلى أنه مشغول بقضية أخرى ورغم ذلك فكانت تبدو عليها قوة الإرادة والعزم وهيئتها الإجمالية تنم عن أنها ماجأت إلا لتروى إلا قصتها .. وسوف تروىها مهما كانت الدواعي ..

واصطنع هولمز وهو يسألها أن تجلس وتذكر ما يقلقها ..
وبعد أن أخذت مقعدها قال هولمز وهو يحدجها بنظراته الحارة:
❖ إن صحتك تبدو جيدة رغم إدمانك ركوب الدراجة كما أن هذا الركوب قد أكسبك نشاطا وحركة كما ينم عليه شكلك !!

فظهرت سمات الدهشة على وجهها الجميل الوردى ثم أشققت عينيها على موضع الإحتكاك الظاهر على حذائها من تأثير حافة (البدال) ثم أجابت وهي تبتسم لإكتشافها الأثر الذي استنتج هولمز منه كثرة ركوبها الدراجة :

❖ أنت على حق يامستر هولمز فإننى أقضى وقتا طويلا على مقعدها وسوف ترى علاقة هذا بالموضوع الذى من أجله جئت أسألك المعونة .

ودهشت عندما أمسك هولمز بيد الفتاة غير المضطربة وجعل
يفحص راحتها لحظة بعينيه الحادتين كما يفعل الشاربي في
البضاعة قبل أن يقدم على اتباعها ثم قال وهو يتركها :

❖ أرجو عدم مؤاخذتي فهذا عملي وفعلا أخطأت عندما
ظننتك إحدى كاتبات التيرايتر ولكني تداركت خطئي
الآن فأنت موسيقية وذلك واضح من فرطحة أطراف
أصابعك .

وانبعشت نظرة تدل على التقدير والإعجاب من الفتاة وإومات
برأسه وهي تقول :

❖ نعم يامستر هولمز . فإنني مدرسة موسيقى .

❖ في الأرياف على ما أعتقد .. إن هيئتك تنم على ذلك !

❖ نعم ياسيدي بالقرب من فارنهام على حدود مقاطعة سوري

❖ إنها بقعة جميلة .. هل تذكر ياواسطون أننا قبضنا على

آرثي ستايفورد هناك .. ستايفورد المزيف .. أنت تذكره

بالطبع .. والآن يامس فيولت ما الذي حدث لك بالقرب

من فارنهام على حدود سوري ؟!

فإعتدلت الفتاة في جلستها ثم انفجرت تسرد علينا قصتها

الغريبة :

إننى يتيمة الأب يامستر هولمز وكان والدى يدعى سميث قائد
اوركسترا المسرح الإمبراطورى القديم وبوفاته فقدت أنا وأمى كل
قريب لنا في العالم اللهم إلا إذا استثنينا عمى " رالف سميث "
الذى هاجر إلى افريقيا منذ خمسة وعشرين عامل ولم تصلنا
كلمة منه طول هذه المدة .. ولم يترك لنا والدى شيئاً بعد موته
سوى الفقر المدقع والفاقة الشديدة ولكن علمنا ذات يوم أن جريدة
التيمنز نشرت إعلاناً تتساءل فيه عن مقرنا ولك أن تتصور
دهشتنا وقتئذ وخطر ببالنا أن ربما ترك لنا شخصاً ارثاً كبيراً ننعم
به بعد هذه السنوات المرهقة ولذا لم نضع الفرصة فذهبنا على
الفور إلى المحامى الذى ذكر اسمه في الاعلان وهناك قابلنا
سيدىن هما مستر كاروثرز ومستر وودلى وقد أخبرانا أنهما كانا
في جنوب افريقيا وأنهما كانا صديقين لعمى رالف سميث الذى
لقى حتفه منذ بضعة أشهر قضاها في فقر قاتل بجوارها نسبرج
وقالا أنه في النزاع الأخير أوصاهما بنا ومساعدتنا ما أمكن ..

وبدا الأمر غريباً لدينا إذ ليس من المعقول أن العم رالف الذى
لم نثر مرة اهتمامه في حياته ينظر إلينا بعين الرأفة والعطف بعد
مماته ولكن مستر كاروثرز أوضح لنا سبباً مقبولاً قائلاً إنه لم يعلم
بموت أبى وعائلتنا إلا في اللحظة الأخيرة ولذا فإنه أحس
بمسئوليته نحونا بعد وفاة أخيه ..

وقاطعها هولمز قائلاً :

❖ هناك سؤال .. ومتى قابلت هذين السيدين ؟

❖ في ديسمبر الماضى أى منذ أربعة شهور ..

❖ وماذا حدث بعد ذلك ؟

❖ شعرت بمقت شديد نحو هذا الشخص المسمى وودلى وازداد كرهى له عندما لاحظته يلقى على نظرات مريبة حادة كنت أعمل جهدى على إتقائها وتحويل بريقا بريقها اللامع عنى كان وجهه بشعاً منتفخاً يتوسطه شارب محمر اللون وزاده بشاعة تلك الشعيرات المقيمة التى تتدلى على جانبيه صدغيه وأعتقد أنه مارآه إنسان إلا وشعر بما شعرت به وأعتقد أيضاً أن سيريل لو علم بالأمر لنصحنى بعدم الاقتراب من ذلك الشخص .

فقال هولمز وهو يبتسم :

❖ ومن سيريل هذا اسمه ؟

❖ نعم .. يامستر هولمز انه يدعى سيريل مورتون ومهنته مهندس كهربائى وقد اتفقنا على الزواج بمجرد انتهاء الصيف .. والآن لا أستطيع أن أفى هذا الرجل حقه من

الكره يامستر هولمز وكل ما أريده قوله هو أن وودلى هذا
بشع .. بكل مافي هذه الكلمة من معنى ولكن مستر
كاروثرز الذى كان يبدو أكبر منه سناً كان طيب القلب
معى اسود العينين شاحب الوجه حليق الذقن يميل إلى
الصمت وإذا ماتكلم وزن الألفاظ قبل أن ينطق بها وإذا
ما إبتسم بذل جهده في أن تكون بسمته عذبة رقيقة
فسألنى في أدب عن الحال التى تركنا عليها والذى بعد
مماته وعندما علم بفقرنا المدقع عرض على أن أقوم
بتدريس الموسيقى لابنته الوحيدة البالغة عشر سنوات
فأجبتة بعدم استطاعتي ترك والدتي فاقترح أن أعود لها
مرة في اجازة آخر الاسبوع . وعندما تكلمنا على الأجر
عرض على مائه جنيه في العام وهو كما ترى أجر ليس
بالقليل يغرى بالقبول ، وفعلنا اتفقنا وذهبت إلى
(جيلترن جرانج) التى تبعد نحو ستة أميال من "قارنهام"

وكان مستر كاروثرز أرمل يستخدم في بيته سيدة كبيرة السن
محترمة تدعى (مسز ديكسون) ووظيفتها الأصلية " بوابة "
ولكنها كانت تقوم بتنظيف البيت وترتيبه والعناية بابنته الوحيدة
علاوة على عملها الأساسى وكان مستر كاروثرز على علم
بالموسيقى وكثيراً ما قضينا ليالى سعيدة كنا نعزف فيها معاً
وفي آخر اسبوع أذهب إلى المدينة لأقضى الاجازة بين أحضان أمى

قضيت أياما سعيدة في هذا البيت ثم بدأت العاطفة تدنو منذرة بالشر وذلك بقدوم مستر وودلى المقيت لقضاء اسبوع في ضيافة مستر كاروثرز وخيل إلى إن هذا الاسبوع ثلاثة شهور طوال لشدة كراهيتي له .. كان شخصا بشعا .. يامستر هولمز بل أبشع مما تتصور فهو في نظري كتلة من الشر والفظاظة .. وأشد ماذعرت عندما إختلى بى مرة وأخذ يسقط فى أذنى من ألفاظ الحب ماشاء وعبثا حاولت رده إلى العقل والواجب وراح يغربنى بثروته قائلا إننى لو تزوجته فسوف ينيلنى أبداع جواهر لندن وأنه سوف يمهّدلى الطريق للمظهر في الأندية والمجتمعات إلى غير ذلك حتى ضقت به ذرعا وضاق ذرعابى فهجم على واحتوانى بين ذراعيه القويتين مقسماً بأنه لن يدعنى إلا بعد تقبيلى ولم تدم المناضلة بيننا طويلا إذ فاجأه مستر كاروثرز فانتزعنى منه وصوب اليه لكمة قوية أصابته في ذقنه فسقط على الأرض وهو ينعته بأقبح السباب وهكذا مضى وودلى قبل أن يكمل الأسبوع الذى أتى لقضائه .

وفي اليوم التالى قدم إلى مستر كاروثرز اعتذاره عما بدا من صديقه وأكد لى أن مثل هذا الفصل المهين لن يحدث مرة ثانية .

ومنذ هذه اللحظة لم أقابل مستر وودلى .

والآن يامستر هولمز سأقدم على السبب الأساسى الذى دعانى

إلى استشارتك .. وقبل كل شيء تعلم أنني قبل ظهر كل يوم سبت أركب دراجتي قاصدة محطة فارنهام لألحق بقطار الساعة الثانية عشر و ١٢ دقيقة ليقلني إلى المدينة والطريق بين (جيلترن جرانج) وفارنهام طريق مقطوع ومنعزل وخاصة في الجزء الذي يقع بعد ميل من مروج شارلينجتون من ناحية بينما تقع الغابات المحيطة بـ (شارلنجتون هول) في الناحية الأخرى .. لن تجد مكانا أكثر عزلة ووحشة من هذا المكان ونادرا ما تجد عربة نقل أو فلاحاً قبل أن تصل إلى الجزء المرتفع قريبا من تلال كروكسبرت فبينما كنت أخترق هذا الطريق منذ أسبوعين تصادف أن أختلست نظرة خلفي فلاح لي على بعد نحو مائتي ياردة رجل يركب دراجة مثلي وكان يبدو عليه أنه في منتصف العمر رغم لحيته القصيرة السوداء وعندما اقتربت من فارنهام خطر لي بالا إلى الحادثة واعتبرتها مجرد مصادفة ولكن لك أن تتصور دهشتي بعد ذلك يامستر هولمز . عندما تعلم أنه في عودتي إلى مقر عملي يوم الاثنين رأيت نفس الرجل في نفس الطريق وازدادت دهشتي لما تكررت الحادثة بيني وبينه ورغم أنه لم يحاول قط مشاكستي إلا أن الأمر بدالى غريباً ..

وعندما ذكرت المسألة للمستر كاروثرز أبدى اهتماما من جانبه وقال إنه أوصى بشراء حصان وعربة خفيفة سوف تقلني من البيت

والمحطة حتى لا أضطر في المستقبل إلى قطع هذا الطريق الموحش وحيدة ..

وكان منتظرا حضور العربة والحصان هذا الأسبوع ولكن أعتذاراً لا أدريها قد أخرت حضورهما ولذا اضطررت إلى قطع المسافة بدراجتي صباح اليوم وعندما بلغت مروج شارلينجتون رأيت الرجل المثلج الذي اكتشفته منذ أسبوعين يعود إلى إقتفاء أثرى وفهمت غرضه من جعل المسافة بينى وبينه مائتى ياردة هو ألا أتعرف عليه ولكنى واثقة من أننى لم أره من قبل وكان مرتدياً بذلة غامقة وقبعة من القماش والشىء الوحيد الذى رأيت بوضوح هو لحيته السوداء لم أنزعج لرؤيته اليوم ولكن ملأتنى الدهشة وصممت فى نفسى على أن أتعرف عليه وأعرف غرضه من تتبع أثرى فأبطأت فى سير الدراجة ففعل مثلى .. فأوقفتها بينما وقف دراجته بدوره وعندئذ نصبت له فخا .. كان فى الطريق انحناءة حادة فأسرعت إليها وأوقفت دراجتى واختفيت خلفها .. وانتظرت متوقعة أن يتابع سيره خافى ثم ينحنى مع الطريق فيمكننى التعرف عليه ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ولم يظهر الرجل ونظرت بحذر من جانب الإنحناءة ورغم أنه كان فى مقدور بصرى أن أرى مسافة ميل أمامى فإننى لم أجد الرجل .. كان قد اختفى كأنما قد ابتلعتة الأرض إنه لا توجد منحنيات فى هذا الجزء من الطريق يحتمل أن يكون قد انحدر إليها ..

فضحك هولمز وفرك يديه قائلاً :

✿ إن قضيتك ياسيدتى غريبة من بابها .. وكم مضى من الوقت بين اختفائك بدراجتك في الانحواء وبين رؤيتك الطريق خاليا ؟

✿ دقيقتان أو ثلاث على الأكثر .

✿ إذن فليس من المحتمل أن يكون قد قفل راجعا بينما تقولين في الوقت نفسه إنه لا يوجد منحنيات في الطريق قد يكون انحدر فيها !

✿ أبدا ..

✿ دن فلا شك أنه عبر على قدميه ساحبا دراجته جانبا من جانبي الطريق !.

✿ لم يسر صوب المروج وإلا لكنت رأيته .

✿ لنفرض الطرف عن هذه النقطة الآن .. فقد يكون قد عبر الطريق إلى شارلينجتون هو الذي (كما فهمت منك) يقع على الجانب الآخر من الطريق .. وبعد ذلك ماذا حدث ؟

✿ لم يحدث شيء يامستر هولمز إلا أنني كنت في حيرة من أجليها واعتقدت أنني سوف لا أستريح إلا إذا حضرت إليك طالبة رأيك الخاص وما تشير على به .

- وجلس هولمز صامتا بعض الوقت ثم سألها أخيراً :
- ❖ أين السيد الذى أنت مخطوبه له ؟
- ❖ انه يعمل في شركة الكهرباء الداخلية بمقاطعة كوفنترى .
- ❖ ألا تظنين أنه أراد أن يفاجئك باقتفائه أثرك ؟
- ❖ كلا يامستر هولمز .. كأتنى بسؤالك هذا لا أعرفه .
- ❖ وهل لك معجبون آخرون ؟
- ❖ كثيرون قبل معرفتى بسيريل .
- ❖ وبعد ذلك ؟
- ❖ وبعد ذلك هذا الرجل المقيت المدعو وودلى إذا شئت أن
تضمه إلى كشف المعجبين !!
- ❖ هل هناك أحد غيره ؟!
- فسكتت لحظة تخرج فيها وجهها بالإحمرار بينما سألها هولمز
- ❖ من هو ؟
- ❖ أوه .. قد يكون ذهب ذهني بالخيال إلى حد بعيد ولكن بدا
لى أن مخدمى مستر كاروثرز يكن شيئاً من الإعجاب
نحوى وقد اكتشفت ذلك في بعض الأمسيات التى كنا

التي كنا نعزف فيها معا ولكنه لم ينبس بحرف يدل على
إعجابه كأنما هو يشفق من البوح به .. لقد كان طيب
القلب معي دائما ولكنك تعلم يامستر هولمز أن المرأة
لاتخفى عنها شيء مهما كان ضئيلا !!

وتفرس هولمز في عينيها الصافيتين وقال :

❁ آ..ه .. نعم .. ومن أين يعيش مستر كاروثرز ؟

❁ إنه رجل غنى .

❁ ألا يملك خيلا أو عربات ..

❁ كلا فهو لا يحتاج لأنه يذهب إلى المدينة مرتين أو ثلاثة
في الأسبوع للنظر في شؤون سنداته التي يستغلها في
مناجم الذهب بجنوب افريقيا .

❁ أرجو أن تبلغني أنباءك أول بأول يامس سميث لأنني
مشغول جداً الآن ولكنني في نفس الوقت سوف أختلس
زماً أستطيع فيه السير في قضيتك فلا تخطى خطوة إلا
وأكون عليم بها وإلا اللقاء الآن كما أرجو أن تنتهي
متاعبك عند هذا الحد ولا أسمع منك إلا كل خير .

وبعد أن انصرفت أخذ هولمز يعبث بغليونه العتيق قائلاً :

❁ لقد تدخلت قوة طبيعية في حياة هذه الفتاة بالطريق الذي تسلكه موحش رهيب وعلى كل حال فقضيتها لا تخلو من غرابة ودهشة يا واطسون !! ويغلب على الظن أن هذا الرجل الملح عاشق متعبد يقتفى أثرها لا لشيء سوى أن يملأ ناظريه منها دون أن يجعلها تتعرف عليه وهي جميلة جداً كما ترى !!

❁ هذا هو رأيي .. أو ما يدولى على الأقل طالما أن هذا الرجل لم يحاول مشاكستها !

❁ تماماً . والخطوة الأولى الآن هي أن نبذل جهودنا لمعرفة مستأجرى شارلينجتون هول ثم مدى العلاقة التي بين كاروثرز وودلى مادام مشرب وأخلاق كل منهما لا تتفق مع الآخر !! وما الدافع الحقيقي الذي حفزهما إلى البحث عن أقارب رالف سميث وما السبب الذي من أجله عرض كاروثرز ضعف الأجر المعتاد اعطاؤه للمربية على مس فيوليت سميث .. ولم لا يمتلك حصانا أو عربة رغم بعد المياقة التي بين بيته وبين محطة فارنهام وتبلغ ستة أميال هذا غريب يا واطسون .. غريب جداً !!

❁ إذن فسوف تذهب إلى هذه الناحية ؟ !

❁ كلا يا عزيزى بل أنت الذى سوف يذهب إذ قد تكون هناك
مكيده مدبرة وأنا من جهتى لا أستطيع ترك القضية
الهامة التى بين يدي من أجلها ففي يوم الاثنين القادم
سوف تصل في الصباح الباكر إلى محطة فارنهام وتختفى
بالقرب من مروج شارلينجتون وتلاحظ ما يحدث بنفسك
وتفعل ما يملكه عقلك وبعد أن تتحرى عن سكان
شارلينجتون هول تعود إلى بالتقرير اللازم ..

والآن يا واطسون سوف لانتحدث بكلمة عن هذه القضية إلا
بعد أن نحصل على بعض الحصى لبناء أساس نسير على هديه .

وكنا قد تأكدنا من الفتاة إنها تستقل يوم الاثنين القطار الذى
يفادر ووترلو في تمام الساعة التاسعة والخمسين دقيقة ولذا فقد
بكرت فركبت القطار الساعة التاسعة وثلاث عشرة دقيقة وعندما
وصلت إلى المحطة فارنهام لم أجد صعوبة في السؤال عن الطريق
المؤدية إلى مروج شارلينجتون وما أن سرت فيها حتى أدركت أن
الفتاة كان على حق إذ كانت تحف الطريق المروج الخضراء من
ناحية والأشجار الكثيفة المظلمة التى من نوع أشجار الصنوبر من
النحية الأخرى ورغم هذه الدوحة المورقة كانت هناك بعض فرجات
تصلح لأن تكون طرقا يمر منها الانسان إذا أراد وأما المنزل فكان
مختفيا خلف الأغصان لاتراه العين .. وبالإجمال فكل شيء

مختفيا خلف الأغصان لاتراه العين .. وبالاجمال فكل شىء يحيط بالمكان يبعث في النفس الرهبة والخوف .

وكانت الزهور الذهبية الجميلة تغطي المروج المنتشرة وهى تلتمع تحت أشعة الشمس الواهجة فتبعث في القلب شيئا من البهجة يخفف قليلا من الوحشة التى كنت أشعر بها .. وخلف كتلة ورقة أخذت مكانى بحيث أرقب الطريق من جهتيه .. وكان الطريق خالياً إذ ذاك لاتسمع فيه نامة ولاحركة فخيّل إلى أننى قابع وسط مقبرة ولكن لم يطل انتظارى إذ مالبثت أن شاهدت شخصا يركب دراجة قادما من الناحية المضادة للناحية التى أتيت منها وكان يرتدى بذه غامقة وله ذقن سوداء قصيرة وعندما بلغ الجهة المقابلة لشارلينجتون هبط من فوق دراجته واختفى بها في فرجة بين الأغصان المتشابكة ..

وبعد مضي ربع ساعة ظهرت دراجة أخرى وعلى مقعدها الفتاة الصغيرة وهى قادمة من ناحية محطة فارنهام ولم تمر لحظة حتى وجدت الرجل الملتحى يخرج من مخبئه ويقفز فوق الدراجة ويتبعها وكانت الفتاة مستقيمة على مقعدها بينما كان الآخر محنيا فوق قضيب القيادة .. وفجأة رأيتها تلتفت خلفها وتنظر إليه ثم تخفف من سرعة الدراجة بينما أبطأ هو بدوره .. وقفت فوق أيضاً .. كل ذلك دون أن يجعل المسافة التى بينه وبينها

تقل .. وكانت مائثا ياردة تقريبا وأما الحركة التى أبدتها بعدئذ فلم أكن أتوقعها إذ غيرت اتجاهها فجأة وسارت في الناحية المضادة وأصبحت قاصدة الرجل وجها لوجه ..

وكان الرجل في مثل سرعتها فغير هو الآخر اتجاهه وأدار (البدال) بكل ماأوتى من قوة كأنما الأشباح تطارده .. وانقلبت الآية فظلت تتبعه حتى اختفيا عن نظرى في المنحنى .

وظللت في مخبئى واستحسننت ما فعلت لأننى شاهدت الرجل يعود على قدميه ومضت بضع دقائق كان واقفا خلالها بين الأشجار رافعا يديه إلى اعلى والظاهر أنه كان يصلح من رباط عنقه وبعد ذلك سحب دراجته إلى أعلى التل ثم ركبها متجها صوب شارلينجتون هول بينما أسرعت أنا وعبرت المرج ثم أخرجت رأسى من بين الأغصان فرأيت على بعد شبح البناء القاتم الذى تحوطه بعض الأزقة الملتوية الشائكة فمنعتنى من رؤية الرجل ...

وخيل إلى عندئذ أننى قمت بعملى على الوجه الأكمل فعدت وأنا منتفخ الأوداج إلى فارنهام وعندما سألت وكيل شركة لندن المحلية عن سكان شارلينجتون هول لم يدلوا إلى بأى معلومات وأشاروا على بالسؤال في محل تجارى معروف يحمل اسم (بول مول) فذهبت حيث قولت بحفاوة وإكرام زائدين ولما كنت أود ألا أثير شكاً فقد أبدت رغبتى في السكن بشارلينجتون هول فأجابنى العامل :

❁ كلا يا سيدى إن شارلينجتون لا تصلح للسكنى في الصيف رد علي ذلك أن البيت مؤجر للمستتر ويليامسون منذ شهر وهو رجل كبير السن محترم ..

هذا كل ما أدلى به إلى العامل ثم تركنى لىخدم زبائنه ..

وأصغى هولمز للتقرير الذى رفعته اليه بعد عودتى في المساء إلى شارع بيكر وخيل إلى أنه سوف يصادفنى مهنئاً ولكن شىء من ذلك لم يحدث فلم تنفرج شفتاه عن كلمة شكر أو تشجيع بل بالعكس فقد رأيت جهامة على وجهه العبوس وأخذ يلومنى على ما أقمت عليه قائلاً :

❁ لم تختبر البقعة الصالحة للاختفاء يا واطسون وكان أولى بك أن تختفى في مكان تستطيع أن تراقب منه الرجل الملتحى عن قرب وليس على بعد بضعة مئات من الياردات كما فعلت وبذا تستطيع أن تمدنى بمعلومات جديدة فمثلاً هى تظن أنها لا تعرف الرجل ولم تره أبداً من قبل وأنا لا أشك في ذلك ولكن لماذا يهرب منها كلما حاولت أن تراه وجهاً لوجه .. إنه يخشى أن تتعرف عليه .. لقد قلت إنه كان منحنيًا فوق قضيب القيادة .. لماذا .. لأنه يريد ألا ترى سوى ذقنه الملتحى .. لقد أخطأت يا واطسون .. تركته يعود لى البيت بينما أنت في شدة الاحتياج لرؤية

ملاحمه ومعرفه من هو .. لقد ذهبت بعدئذ للسؤال في شركة لندن المحلية .

ولم أدعه يتم حديثه بل ضقت ذرعا به وأحسست بشعور من الكراهية وعدم التقدير نحوه وصحت :

❁ ماذا كنت أفعل إذن ؟

❁ كان أولى بك أن تذهب إلى أقرب حانه حيث تكثر الأقاويل وتنتشر الإشاعات وهناك بكل بساطة يمكنك أن تعرف ما تريد من الخادمة ... ويليامسون !! وما استفدت من اسمه ... تقول إنه كبير السن إذن فكيف يتسنى له ركوب دراجة والإسراع بها لدرجة تعجز فتاة في مبيعة صباها أن تلحق به !! هل تستطيع الآن أن تذكر لى ما استفدناه من إرسالك ؟! لم نستفد سوى أن قصة الفتاة حقيقية لا غبار عليها وهذا ما شككت فيه فط وعلمنا أن هناك علاقة بين الرجل الغريب وقصر شارلينجتون ولم أشك في هذا أيضا .. وأن القصر يسكنه رجل يدعى ويليامسون .. ومن ويليامسون هذا لا ندرى .. حسنا .. حسنا لا تبتئس يا واطسون فسوف أتحرى عن كل شيء بنفسى ..

وفي صباح اليوم التالي وصلتنا رسالة من مس فيوليت سميث
ضمنتها كل الحوادث التي رأيتها بعيني أمس وأما ما حدث بعد
لك فهو ما يحويه الجزء الآخر من الرسالة حيث قالت :

"أعتقد أنك سوف تحترم ثقتي بك يا مستر هولمز عندما انبئك
بأنه أصبح من الصعوبة أن أظل هنا فقد عرض على مخدومي
الزواج وصرح لي بحبه الشديد لي وأنا لا أنكر انه سلك معي
مسلكا مشرفا وعندما أخبرته بأنني آسفة لخطوبتي لرجل آخر
خيل إلى أن الصدمة كانت شديدة عليه ، فراح يأخذ أنفاسه في
عنف وضيق وتحيرت الدموع في مآقيه ولكنه لم يتكلم ولم يثر
كان عهدي به طيب القلب شهما ..

وها أنت تري يا مستر هولمز أن موقفي ازداد حرجا ..."

وغاص هولمز في لجة من التفكير ثم قال :

❁ إن القضية تسير سيرا حثيثاً يا واطسون وأظن أن من
المستحسن أن أذهب بعد ظهر اليوم لقضاء بعض الوقت
في الريف لأجرب نظرية أو نظريتين اختمرتاً في ذهني .

ويظهر أن هولمز لم يوفق في ذهابه إلى الريف فقد عاد في
المساء مقطوع الشفة معصوب الجبهة . لدرجة أنني انكرته طالما
جاء مفتشوا اسكتلانديارد لاستشارته في القضايا العريضة ولا

أخفى شيئاً إذا صرحت بأننى شعرت بالشماته لرجوعة خافقا لأنه
لامنى بالأمس على ما اقدمت عليه وراح ينتقد كل خطوة
خطوتها وأخيرا قال :

❁ إننى لم أحزن على فشلى عندما حاولت مراراً أن أتدرب
على لعب البوكس بقدر حزنى على فشلى الليلة ياواطسون
وأخفيت شعورى بالشماته نحوه مخافة غضب وسألته :
❁ ماذا حدث ياهولمز ؟

❁ قصدت فوراً إلى حانة فارنهام التى جاء ذكرها في سياق
حديثنا أمس لكى أتحرى عن مستر ويليامسون وكان
صاحب الحانة رجلاً ثثاراً فذكر لى كل ما أردت معرفته
عنه .. فهو رجل كبير السن وقد خط الشيب لحيته
ويعيش وحيداً في قصر شارلينجتون إذ استثنينا بعض
الخدم الذين يقومون بخدمته وهناك اشاعة تقول أنه قسيس
أو كان قسيساً فيما مضى وبالتحرى فيما مضى من
مكتب الاستعلامات علمت أن رجلاً بهذا الاسم كان
معروفاً بسوء السيرة زد على ذلك أننى فهمت من حديث
صاحب الحانة بكثرة زيارات رجل أحمر الشارب يدعى
مستر وودلى وبينما كنت أوجه أسئلتى للرجل الثثار كان
وودلى في الغرفة المجاورة يستمع إلى كل شىء إذ مالبت
أن برز من الباب بهيئته المقيمة وهو يصيح :

❁ من أنت .. وماذا تريد ؟ وما قصدك من هذه الأسئلة ثم
انهال على بسيل من الشتائم والصفات القذرة اتبعها
بقذف مقعد فشل في القائه لأتني كنت قد سددت له لكمه
قوية غادر بعدها الحانة محمولا على عربة وبذا انتهت
زيارتى لفارنهام بمثل الفشل الذى منيت أنت به فى
زيارتك لها لأول مرة

وفى يوم الخميس التلى وصلنا خطاب آخر من مس فيوليت
سميث تقول فيه :

" سوف لاتندهش ياهولمز إذا علمت إننى سوف أغادر مستر
كاروثرز رغم المبلغ الكبير الذى عرضه على لأقوم بتدريس
الموسيقى لابنته وعند حلول يوم السبت القادم سوف أذهب إلى
المدينة كعادتى ولكنى لن أعود ، وقد استحضر مستر كاروثرز
العربة فوفر على مشقة قطع الطريق الموحش منفردة وأعتقد أنك
برحيلى عن هذا البيت سوف أبتعد عن المخاطر التى أظل معرضة
إليها فى كل لحظة ..

وأما السبب الأساسى الذى دعانى إلى مغادرة البيت فليس
فقط موقفى إزاء مستر كاروثرز بل لعودة ظهور الرجل المقيت
المدعو مستر وودلى .. لقد كان دائما بشعا ولكن اليوم خيل إلى
انه ازداد بشاعة وازددت له كرها والظاهر أنه حدثت له حادثة

تركت أثرها جلى وجهه البغيض .. لقد لمحتة من النافذة وإننى
أشعر بسعادة تطفئ على لعدم مقابلتى له وكانت له جلسة طويلة
مع مستر كاروثرز ظهر على أثرها في شدة الانفعال والغضب
ويغلب على ظنى أو وودلى يعيش على مقربة منا لأنه لم يقض
ليلته هنا رغم تأخير الوقت ولأننى لمحتة مرة ثانية وهو يحوم
حول البيت في هذا الصباح فبدا كأنه وحش هائج يود لويقابل
فرسة ضعيفة لينشب فيها أظافرة وبلغ في دمائها وقد بغضته
وخفت منه أكثر من ذى قبل لا أدري كيف يتحمل مستر كاروثرز
رؤيته ولكم أنا مسرورة لأن متاعبى سوف تنتهى يوم السبت
القادم !! "

وما انتهى هولمز من قراءته حتى قال :

❁ هذا ما توقعته ياواطسون .. هذا ماتوقعته .. هناك
مكيدة تدبر في الخفاء حول هذه الفتاة الصغيرة ومن
واجبنا أن نحميها مما سوف ينزل بها أثناء عبورها الطريق
لآخر مرة فيجب ألا نضيع الوقت عبثا ونذهب معا في
صباح السبت القادم كي نضع حداً لمتاعبها ..

وفي الحقيقة لم أكن أنظر إلى القضية هذه النظرة التى تدل
على الخطر المحيى بمس فيوليت سميث لأنه إذا كان هناك رجل
يعشق فتاة ذلك العشق الذى يدفعه إلى اقتفاء أثرها في مجيئها

ورواحها ثم هو يشفق أن ترى وجهه وتتعرف عليه فيهرب بجبن من اقتراف جريمه تؤذيها وأما الوحش المسمى وودلى فلم يحاول أن يضايقها بهد المرة الأولى التى صرعه فيها كاروثرز أو يتدخل فى شئونها عند زيارته الأخيرة للبيت كما قررت الفتاة فى رسالتها وفى الوقت نفسه لم يعد هناك شك فى أ رجل ادراجة الذى اعتاد تتبعها على صلة بمستر ويليامسون سىء الأخلاق والذى يتردد على قصره كثيرون من ذوى السمع غير المشرفة ولكن من هو وماذا يقصد .. هذا مازال غامضا علينا الآن .

وعندما تناول هولمز مسدسه ودسه فى جيبه الخلفى أدركت خطورة المغامرة التى نحن مقدمون عليها والتى سوف نخلص عميلتنا من متاعبها بصفة نهائية ..

وعقب الليلة الممطرة صباح بهيج ظهرت فيه الزهور التى تغطى المرج أكثر رونقا وجمالا عن ذى قبل بينما سرت أنا وهولمز فوق الرمال نملاً رثينا من نسيم الصبح المندى ونستمع إلى الهمسات الرقيقة المنبعثة من أنفاس الأشجار الحاملة وأجنحة الطيور المبلة بأنداء الضباب وتمتع النظر برؤية الزهور برة جميلة والضباب هنا وهناك فتصبغ الأفق الباهت بالوان شعرية جميلة والضباب يتبدد فى غلالة ذهبية تحلو للعين رؤيتها وعلى ربة مرتفعة بالقرب من تلال كروكسبرى أمكننا مشاهدة قصر

شارلينجتون البعيد وهو يتصاعد من بين دوح السنديان الكهلة
والتي رغم ذلك تبدو أقل عمرا من البناء نفسه . وأشار هولمز إلى
نقطة سوداء تتحرك في الأفق البعيد ، فما لبثنا أن عرفنا عربة
قادمة في اتجاهنا فأبدى هولمز دهشته قائلا :

❁ لقد قررت لمجيئها نصف ساعة و، لو كانت هي التي تركها
فلا بد أنها عدلت عن ركوب قطار الظهر الذي اعتادت
ركوبه ولحاق القطار الذ قبله وكل ما اخشاه يا واطسون هو
أنها تصل في سيرها إلى شارلينجتون قبل أن نستطيع
مقابلتها .

وبينما نحن نسرع وقد تحولت كل قوانا إلى سيقاننا أن الذي
عشرت بريرة لم أتمالك بعدها نفسى من السقوط بعكس هولمز
الذى قضى مدة طويلة فى التدريب على الجرى فلم تعثر قدمه
مثلى فسبقنى فى العدو ولكن حدث فجأة وهو على بعد نحو
مائة ياردة أمامى أن وقف فجأة ورأيت أنه وهو يلوح بيديه علامة
على الفشل واليأس بينما فى نفس اللحظة برزت العربة خالية من
المنعطف فى طريقها إلينا وإذا بالجواد يصهل فى صوت مخيف
وقد تدلت الأعنة فوق عنقه !!

وصاح هولمز وكنت قد بلغتته :

❁ لقد جئنا متأخرين يا واطسون !!.. متأخرين جداً إننى أحقق لعدم محاولتى اللحاق بقطار مبكر . نحن إزاء جريمة اختطاف هل تفهم يا واطسون !! اختطاف وقتل والله يعلم ما أقول .. اعبر الطريق وامسك بعنان الجواد .. نعم هكذا .. والآن اقفز إلى داخل العربة ودعنا نر ما اذا كان فى الامكان أن نصلح غلطتنا .

ولم تمض لحظة حتى كنىل فى جوف العربة الصغيرة وبعد أن عكس هولمز اتجاه سيرها الهب الجواد بالسوط فمضى فى طريقه كأنه البرق الخاطف وما أن انعطفنا فى الانحناء حتى وجدنا الطريق كعادته خالياً من كل شىء ولكن غير أنى لم البث أن صحت بهولمز وأنا أجذبه من ذراعه :

❁ أنظر !!

وأشـرت نحو نقطة سوداء تبدو من بعد وأخذت تكبر رويداً رويداً وعدت أقول :

❁ هذا هو الرجل يا هولمز ..

وكان مسرعاً بدراجته وكأنه أفرغ كل قوته فى ساقبيه اللتين يدير بهما (البدال) لدرجة خيل إلى أنه فى حلبة سباق ويخشى فوز آخر عليه .

ورفع وجهه الملتحي فجأة فاصفر وشحب حتى حاكى وجوه
الموتى واضطربت ساقاه وسرت فى بدنه رعشة لم تخف علينا
ولكنه مالبث أن جمع شتات نفسه وقفز من فوق مقعد الدراجة
وقطع على العربة طريقها بعد أن أسند مطيته إلى ضخرة على
جانب الطريق وصاح فى صرت قوى :

❁ قف عندك من أين أتيت بهذه العربة .. آمرك بالوقوف
ورأيت أنه وهو يخرج طبنجته من جيبه الجانبي .

❁ قف بحق السماء وإلا صويت نحو الجواد وقتلته .

وألقي هولز العنان من يدي وهبط إلى الأرض قائلا :

❁ إنك الرجل الذى طالما وددنا رؤيته .

فارتجف الرجل وسأله :

❁ ماذا تقصد يا سيدى ؟

❁ لا داعى من المواربة .. أين مس فيوليت سميث .

❁ بل أنا الذى سوف أوجه إليك هذا السؤال . إنك كنت فى
عربتها ولا بد أنك تعرف مقرها .

❁ لقد قابلنا العربة فى الطريق وكانت خالية فأوقفناها وعدنا
بها لنساعد مس سميث .

فزفر الرجل زفرة هائلة وراح يقول :

❁ يا لله .. يا لله . ماذا أنا فاعل الآن . لقد نالوها نعم أنه
الكلب وودلى والكلب الآخر . تعال يا رجل معى اذا كنت
حقيقة تود مساعدتها . قف بجانبى وسوف أنقذها حتى
ولو كان مصيرى هو الموت الأكيد والقائى جيفة نتنة
تنهشها وحوش شارلينجتون !

قال هذا وتقدمنا ولا تزال يده قابضة على الطبنجة ثم اخترق
فجوة بين الأغصان فتبعه هولمز وأنا خلفه بعد أن ربطت عنان
الجواد بصخرة ناتئة

وأشار الرجل الغريب إلى آثار أقدام كثيرة مطبوعة فوق
الأرض المبللة وقال :

❁ لقد سلكوا هذا الطريق ..

ولم يكمل قوله بل وقف وصاح :

❁ من هناك فى الداخل !؟

ولما لم نسمع صوتا تقدمنا إلى حيث أشار فاذا بجثة صبي
يهاز السابعة عشرة يرتدى ثياب سياسى الخيل ممددة على ظهرها
وقد لرتفعت ركبتاه وشجت رأسه وكان حيا رغم فقدانه حاسة

الشعور وعندما القيت نظرة على الجرح اتضح لى أنه سطحي لا خوف عليه منه .

وقال الغريب :

❁ انه بيتر السائس الذى كان يقودها فى العربة . لقد اختطفوه الوحوش وهوا على رأسه بهراوة .

وسكت لحظة ثم استطرد :

❁ دعوه حيث هو فليس فى استطاعتنا مساعدته الآن لننقذ الفتاة من شر مصير ينتظر أنثى .

واخترقنا طريقنا وسط الغصون المتعانقة حتى وصلنا أخيرا إلى الأدغال التى تحيط بقصر شارلينجتون فوقفنا هولز قائلا :

❁ إنهم لم يذهبوا بها إلى القصر .. هاهى أقدامهم تنحرف إلى اليسار .. هنا بجوار شجر الغار ... آه ... هذا ما توقعته :

وبينما كان يتكلم اخترقت صماخ آذاننا صرخة رهيبة .. صرخة امرأة ملأها الرعب والفرع انبعثت من بين الأدغال وما لبثت أن انتهت بصوت رفيع حاد تلاشى فى الحال !!

وصاح الغريب وهو يفسح لنفسه طريقا من بين الغصون :

❁ من هنا . من هنا . آه .. ويل للكلاب . اتبعونى أيها السادة وأسرعوا هيا لم يعد هناك وقت وفجأة رأينا أنفسنا وسط بقعة فسيحة من الأرض محاطة بأشجار الصنوبر الضخمة وتحت ظل دوحة كبيرة شاهدنا ثلاثة أشخاص . أحدهم امرأة وهى عميلتنا مس سميث وكانت مغمى عليها بينما عقد منديل حول فمها وكأنهم أشفقوا أن تعود إلى الصباح بعد الصرخة التى أرسلتها وفي الجهة المقابلة وقف الرجل ثقل الظل المدعو وودلى وقد عرفته بشاربه الأحمر وهيئته المقيتة وقد تدلى من يده اليمنى سوط طويل رفيع وكان واقفا وعلى وجهه سيمات الإنتصار والفوز المبين وبينهما كان الثالث وهو رجل كبير السن قد وخط الشيب شعر رأسه ولحيته المدببة يرتدى جاكته قصيرة من التيل الخفيف وكان يبدو عليه أنه أنتهى من عقد زواجهما قبل مفاجأتنا لهم مباشرة اذ وجدناه يخفى كتاب الصلاة فى جيبه عند ظهورنا أمامه وفى حركة وقحة مد يده الكبيرة وصافح وودلى مهنتا ..

فقلت :

❁ اذن فقد تم الزواج !!

عندئذ صاح الرجل الغريب :

❁ هيا .. هيا ..

ولكننا وجدنا ويليامسون القسيس السابق ينحنى إليه في
سخرية مريرة بينما تقدم بهيئته البشعة وهيئته المتوحشة وجعل
يقهقه ويقول للرجل الغريب :

❁ تستطيع الآن أن تنزع لحيتك يا بوب اذ لا داعى لتنكر
حسنا لقد جئت في الوقت المناسب مع صديقك لأقدمكم
إلى مسز وودلى .

وكان جواب رجلنا الغريب غريبا إذ انتزع لحيته وضرب بها
الأرض قبدا من تحتها وجهه الأبيض الحليق وصبوب طبنجته نحو
وودلى الذى كان يهز السوط في يده قائلا :

❁ نعم .. فأنا بوب كاروثرز .. لقد هددتك إلى ما سوف
يصيبك منى اذا عدت لمضايقتك لها واقسم بالله سوف
انفذ وعيدى ..

❁ لقد جئت متأخرا يا عزيزى فهى الآن زوجتى .

❁ كلا بل هى ارملةك .

قال هذا وهو يضغط على اضراسه ثم أطلق طبنجته على
وودلى الذى انفجر الدم من بطنه ثم سقط على الأرض لساعته

وقد استحال وجهه الأحمر البغيض إلى لون آخر شاحب مصفر
بينما سقط فك الآخر دهشة من هول ما رأى ولكنه ما لبث أن
أخرج مسدسه من جيبه الخلفى وقبل أن يطلقه وجد هولمز شاهرا
مسدسه فى وجهه وهو يقول فى صوته الهادى :
*

يكفى جرائم .. اخفض مسدسك .. التقطه يا واطسون ..
اشهره فى وجهه .. شكرا .. وأنت يا كاروثرز اعطنى
طبنجتك سوف لا تضطرانى إلى معاملتكما بالقوة ..

وقال كاروثرز :

* ولكن من أنت ؟!

* إننى أدعى شرلوك هولمز ..

* يا لله !!

* إذن فقد سمعت عنى .. سوف استدعى رجل البوليس
المحلى فأياكما وأن تتحركا ..

قال هذا واستدعى غلاما كان يطل برأسه من نهاية الدغل :

* تعال هنا .. اركب إلى محطة فارنهام بأسرع ما تستطيع
وسلم هذه الرسالة إلى رجل البوليس هناك ودعه يحضر
معك تحت كلمل مسئوليتى ..

❁ وبعد أن كتب بضع كلمات على ورقة صغيرة انتزعها من مفكرته وناولها للغلام .

وبعد انصرافه أمر هولمز وويليامسون وكاروثرز بحمل وودلى إلى القصر بينما اسندت الفتاة وسرت خلفهما ..

وبعد أن وضع الجريح على الفراش أخذت على عاتقى واجب العناية به بعد استشارة هولمز بينما اقتاد هذا أسيريه إلى غرفة المائدة وجلس أمامها شاهرا مسدسه وبعد أن خرجت من حجرة الجريح قلت :

❁ إنه سوف يعيش ..

وعندئذ هب كاروثرز كأنما لدغته أفعى سامة وصاح :

❁ ماذا ... بل سوف أقضى عليه قبل أن أجعل مس فيوليت سميث .. الملاك ترتبط بذلك الوحش جاك وودلى برباط الزوجية إلى الأبد .

فقال هولمز :

❁ ليس لك شأن به لأن عندنا سببين قوين يبطلان الزواج أولهما كيف خول مستر وويليامسون لنفسه حق زواجهما ؟

فقال القسيس الجرم :

- ❁ لقد كانت هذه هى مهنتى ..
- ❁ ودون أن ترتدى (الفراك) الخاص بذلك ؟
- ❁ لا تأثير للثياب فى العمل فالقسييس قسييس بغض النظر عما يلبس ..
- ❁ لا أظن .. ومن أين أحضرت وثيقة الزواج ؟
- ❁ إن عندى دفترًا للوثائق وهو فى جيبى الآن
- ❁ إذن فقد تحصلت عليه بخدعة ولكن على كل حال فان الزواج القهرى ليس بزواج بل هو جناية كبرى والآن وقد وقعت فى شر اعمالك فسوف يكون لديك الوقت الكافى للتفكير خلال العشر السنوات التى ستمضيها فى غياهب السجون . هذا اذا كنت مخطئا فيما قدرت وحكم عليك باكثر منها وأما أنت يا مستر كاروثرز فيستحسن وضع طبنجتك فى جيبك .
- ❁ أظن ذلك يا مستر هولمز ، غير أنى كلما أتذكر وسائل الحماية التى أقدمت عليها من أجل هذه الفتاة التى كنت أحبها من أعماق قلبى (وهذه أول مرة وقعت فى طعم الحب) أقول كلما اتذكر أننى فشلت فى حمايتها أنقلب وحشا مجنونا ويطوف بى طائف من الشر ويختلط على

كل شيء وتبدو لى الحياة شيئا رخيصة لا تستأهل العيش فيها ، لك أن تتصور شعورى يا مستر هولمز عندما أعلم أنها وقعت بين مخالب ذلك الوحش المقيت الذى كان وجوده فى جنوب أفريقيا يبعث الرعب فى القلوب .. الرجل الذى امتد صيته القذر من كيمبرلى إلى جوهانسبرج .. إك لا تصدق ما أقول يا مستر هولمز . ولكن منذ الوقت الذى ساعدت فيه هذه الفتاة باستخدامها عندى وأنا لا أتركها تسير منفردة دون أن أتبعها خوفا من هؤلاء القتلة الكلاب أن يصيبوها بسوء .. لقد كنت دائما احتفظ بالمسافة التى بينى وبينها وأنا أقتفى أثرها فوق دراجتى متنكرا بلحية مزيفة لا تتعرف على لأنها فتاة شريفة ولو اكتشفت أمرى لما مكثت فى بيتى يوما واحدا ..

وقاطعه هولمز قائلا :

❖ ولكن لم لم تنبهنا إلى الأخطار التى تحيط بها ؟

فأجاب :

❖ خشية من أن تغادر بيتى وهى صدمة قاسية ليس فى قدرتى تلقيها لأننى وان لم تبادلنى حبنى كنت قانعا

برؤيتها تروح وتجىء فى بيتى كالملاك الطاهر البرىء
قانعاً بسماع صوتها العذب الحنون الذى أحيا آمال قلبى
المضطرم تسعدنى وتؤرقنى .. لقد جننت يا مستر هولمز
وطالما وددت أن تكون بجانبى على الدوام حتى أنعم بما
ينعم به غيرى من راحة وهدوء وبال .

وعاد هولمز يقول :

❁ حسنا يا مستر كاروثرز انت تسمى هذا حبا ولكنى أسميه
أنا أنانية !!

❁ ربما كان الاثنان معا .. ففي الحالتين لم أكن اطيع بعدها
والى جانب هذا فهى فى حاجة إلى رجل يقف بجانبها
ويرعى شؤونها وعندما وردت البرقية إلى تنبأت بأن هذه
الوحوش سوف تتحرك ..

❁ أى برقية ؟

فاخرج كاروثرز برقية من جيبه وقدمها إلى هولمز قائلا :

❁ هذه هى ...

وكانت تحوى ثلاث كلمات فقط هى :

" لقد مات العجوز "

وبعد أن ألقى هولمز عليها نظرة قال :

❁ ها .. قد بدأت أفهم بوضوح المسألة إذن فقد حركتهم هذه البرقية ولكن بعد لحظة سأسمع منك كل شيء .

وما سمع ويليامسون جملة هولمز حتى انفجر صاخبا شاقما
كاروثرز :

❁ بحق السماء لو وشيت بنا لأذيقنك من نفس الكأس التي جرعتها لجناك وودلى .. لك أن تروى قصة حبك للفتاة كما تريد فهذا من شئونك الخاصة أما إذا أدت دفعة حديثك نحونا فسوف يكون هذا أسوأ يوم في حياتك القدرة .

فقال هولمز وهو يشعل غليونه :

❁ ولكن الأمر لا يحتاج لتهديدك أيها الأب الموقر فالأدلة كلها تشير ضدك وكل ما أريده هو بعض تفاصيل بسيطة أشبع بها حب استطلاعى الخاص فسواء ذكر ما هدته من أجله أو لم يذكره فلا يهم لان القضية قد تمت عناصرها الآن فهو أ! لم يتكلم فسوف أتكلم أنا وعندئذ ستري كيف توصلت إلى معرفة أسرارك التي تحافظ على كتمانها .

وجذب هولمز نفسا من غليونه ثم استطرد :

✿ أول كل شيء أنكم قدمتم أنتم الثلاثة من جنوب افريقيا
أنت يا ويليامسون وأنت يا كاروترز وأنت يا وودلى .

وعندئذ صاح ويليامسون في وقاحة :

✿ هذه هى الكذبة الأولى لأنى لم أر أحدا منهم إلا منذ
شهرين !! بل ولم تطأ قدمى يوما من الأيام صوب افريقيا
فلك أن تضع جملتك هذه في غليونك وتدخنها يامستر
زيبودى هولمز .

وأمن كاروترز على كلامه قائلا :

✿ نعم ان ما يقوله صحيح يا مستر هولمز !

وعاد هولمز يقول وقد تضرج وجهه النحيل بدماء الخجل :

✿ حسنا .. حسنا .. اثنان منكما كانا فى جنوب افريقيا
واما الأب الموقر فقد انضم من هنا .. وتعرفتما
هناك برالف سميث سوف ترث ثروة طائلة .. ها .. ما
رأيكما الآن ؟!

فنفى كاروترز كلام هولمز بهزة من رأسه بينما أقسم
ويليامسون أنها الكذبة الثانية ...

واستطرد هولمز :

❁ وكانت مس فيوليت سميث هي أقرب الأقربين له فأشفقتما
أن يموت مورثها دون أن يترك وصيته .

فصاح كروثرز .

❁ لقد كان أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة .

ولم يبال صديقي بقوله .

❁ ولذا فقد جئتما أنتما الاثنين لتنصبا الشراك حول الفتاة
وكانت الفكرة التي اعتلت في رأسيكما هي أن تتزوج
الفتاة بأحدكما ، بينما يأخذ الآخر نصيبه من الغنيمة
ولسبب من الأسباب إختار جاك وودلى أن يكون الزوج لم
ذلك ؟

❁ لقد لعبنا الورق ، نحن في طريقنا إلى هنا فالغالب منا
تكون من نصيبه .

❁ فهمت .. استخدمت بعد ذلك الفتاة عندك بوظيفة مدرسة
للموسيقى وأحب وودلى أن يستميلها إليه غير أنها نفرت
منه وعندئذ تغيرت الخطة لأنك أحببت الفتاة في الوقت
نفسه فلم تحتمل فكرة أن ينالها منك وودلى .

فصاح كاروثرز :

❖ كلا والله لم أحتمل ذلك .

❖ ولهذا السبب نشب الخلاف بينكما حول امتلاك الفتاة
فتركك في لحظة غضب وجعل يدبر خطة جديدة يفسد بها
خطتك .

وبدت علامم الدهشة ترتسم على وجه كروثرز الذي قال
لويليامسون وهو يبتسم في مرارة :

❖ ها أنت ذا ترى ياويليامسون أن مستر هولمز يعرف كل
شيء دون أن انبأه .. نعم فقد تشاجرنا من أجل الفتاة
وصرعنى بلكمة قوية ثم خرج ولم أره بعد ذلك وفهمت أن
في نيته أن يعمل لنفسه وتحقق ظنى فقد اشترك من
ويليامسون وأتخذنا قصر شارلينجتون مقراً لهما يحيكان
بين جدرانها خيوط المكيدة التي ستؤدى بالفتاة ولم أجد بدا
من ناحيتي إلا أن أجعل عيني مفتوحتين وأزيد من
رعايتهم فيوليت سميث وحمايتها حتى آمن عليها في
غدوها ورواحها ولم أكن أرى وودلى أو زميله إلا نادراً
حتى جاءنى الأول منذ يومين ومعه هذه البرقية التي تشير
إلى موت العجوز رالف سميث في جنوب افريقيا وسألنى
أن أعود إلى الاتفاق معه على الصفقة فلم أقبل فعرض
على أن أتزوج بالفتاة وأعطيها ما يخصه من الغنيمة
فرفضت لأن الفتاة لم ترغب في الزواج بى فقال لى :

فرفضت لأن الفتاة لم ترغب في الزواج بي فقال لى :
❁ لتتزوج بالقوة ولاشك أنها سوف تجد نفسها أمام الأمر
الواقع فترضخ .
فأجبتنه :

❁ إن زواج القوة لا يعد زواجا وليس لى أن أضطرها إلى فعل
شئ خارج عن إرادتها .
وما أن سمع مافهت به حتى صب حمام غضبه وخرج وهو يهدد
ويتوعد قائلا أنه سوف ينالها رغم أنفى .

وعندما غادرت في نهاية الأسبوع كعادتها لتعود لأمها كنت
قد أعددت لها العربة لنقلها إلى محطة فارنهام مع سائسى
المدعو بيتر وقد كنت غيبا أحرق لأننى لم أرافقها ثم سرعان
ماركبت دراجتيوسرت خلفها وبلن لسوء الحظ لم ألحق بها حتى
أحول دون وقوعها بين براثن هذين الرجلين ولم أعلم ما حدث إلا
عندما قابلتكما في الطريق والعربة خالية منها ..

وقال هولمز وهو ينفخ غليونه موجهها كلامه إلى :
❁ لقد كنت خاملا ولكن الجملة التى ذكرتها في تقريرك وهى
إنك رأيت الرجل الغريب بقرب الدغل وهو يرفع

زراعية فظننته يصلح من رباط عنقه افهمتنى كل شىء
وبعثت في نفسى الحماس الكافى لأن أهتم بقضية هي
الأولى من نوعها في تاريخ حياتنا الحافلة بالقضايا
الشاذة ..

وصب نظره إلى الطريق وقال :

✻ أرى ثلاثة من الكونستبلات الوطنيين قادمين في عربة
ومعهم الغلام والسائس بيتر ويختمل إلى أنه استرد
عافيته والآن أظن يا واطسون إننا سوف نستفيد من
مهنتك كطبيب في إفاقة مس فيوليت سميث وتبعث
الأمل في نفسها بتفهمها أن زواجها من المدعو وودلى
باطل وأنها سوف تعود إلى أحضان أمها معززة مكرمة
وسوف أبرق بدورى إلى خطيبها مستر سيرسيل مورتون
المهندس الكهربائى بشركة الكهرباء المحلية . بكوفترى
كى يعنى بها ..

وأما من جهتك يامستر كاروثرز فقد فعلت كل ما استطعت
لكى تحصل على نصيبك دون أن تحكم عقلك وتعرف أنك بعملك
اندمجت في مؤامرة قذرة وها هي ذى بطاقتى ياسيدى وثق إننى
على إستعداد لمساعدتك عندما أتقدم بشهادتى إلى المحكمة
وأدلى برأىي ..

وفي أثناء هذه الحوادث التي كانت تسير بعضها خلف بعض والتي جعلتنا في حركة مستديمة كما يلاحظ القارىء وأنا أسردها عليه كانت كل حادثة تبدو وكأنما هي تمهيد للأخرى التي تليها حتى كانت النهاية التي غطت ما قبلها من الحوادث ..

ومضت الأيام وغمرتنا قضية أخرى نسينا على أثرها شخصيات قضية الرجل الغريب حتى أعدها إلى ذهني خبر قرأته مصادفه في جريدة مسائية يتضمن الثروة الكبيرة التي ورثتها المس فيوليت سميث عن عمها المرحوم رالف سميث الذي كان قد هاجر منذ أكثر من ربع قرن إلى جنوب افريقيا ليحرب حظه في مناجم الذهب التي اكتشفت وقتئذ بجوها مسبرج وقد تزوجت بالمستر سيريل مورتون مدير شركة (كورتون وكندى) للكهرباء بوسطنستر بينما حوكم ويلياميون ووجاك وودلى بتهمة الاختطاف ونفذ الحكم على الأول بالسجن سبع سنوات وعلى الثانى بعشر سنوات وأما كاروثرز غلم أسمع عنه شيئاً ولكنى واثق من أن القاضى راف به نظراً لأنه كان يسعى لحماية الفتاة ويغلب على ظنى أنه لم يحكم عليه بأكثر من بضعة شهور .

سر الحائكة الفرنسية

دعتنى ظروف قهرية لترك شارع بيكر الذى كنت أسكن فيه مع صديقى شرلوك هولمز فذهبت إلى فرنسا لإنهاء بعض الأعمال التى اقتضت مكوثى فيها فترة طويلة كنت أتراسل خلالها مع هولمز وكنت قبل هذا اليوم الذى ابتدئ فيه قصتى قد أرسلت خطابا إليه بعنوان بيكو ستريت أستدعيه لقضاء بضعة أيام في فرنسا بلاد الجمال والنور عسى أن يجد فيها وقتا يستريح من القضايا التى أنهكته وأدت إلى ضعفه أخيراً .

لكن حدث أمر غريب دفع بى إلى إرسال برقيه إليه أتعجل فيها حضوره وقد أرسل إلى بدوره نبأً بقدومه في يوم حدده لى كى أنتظره ..

وجاء اليوم وحرصت على عدم الخروج وساعدنى على ذلك الريح التى كانت تعصف في الخارج وقطرات المطر الدقيقة التى كانت تنقر على زجاج النوافذ نقرات منتظمة كأنها أصابع خفيفة مرتعشة لشخص يود الدخول والإحتماء بالغرفة ولكنه خائف متردد ..

حان ميعاد قدومه ...

ومرت الدقائق طويلة مملة وتخيلت الدقائق ساعات وأنا على
أحر من الجمر فتارة يدفع بى الفكر على أنه عدل عن
المجىء لعذر قهرى وتارة أتخيل حصول حادث ذهب ضحيته
فتسرى في بدنى رعدة شديدة وحاولت أن أبعد هذه الأفكار
السوداء عن ذهنى بالقيام من مقعدى وذرع الغرفة جيئة وذهابا
وأنا بين اللحظة والأخرى أرسل بصرى من خلال زجاج
النافذة التى تتدحرج على صفحتها قطرات المطر كأنها
دموع انفجرت عنها عين حسناء فتدحرجت على خدّها الأسيل ..

وأخيرا أشعلت السيجارة الباقية لدى وجعلت أرقب دخانها
المتصاعد في حلقات مستديرة مرتبطة بعضها إلى بعض ..

وكدت أياس من حضوره عندما طرق الباب وأنا
أطفئ الجزء الباقي من السيجارة ودخل هولز فجأة بقوامه
النحيل وعلى فمه تلك البسمة الهادئة وسمعت صوته
المألوف يقول :

❁ ماذا حدث يا واطسون .. ألدك أمر هام دعاك إلى إرسال
هذه البرقية المقتضبة . إنى فزعت يارجل !!

قال هذا وهو يخلع معطفه الأسود الثمين الذي بلله ماء المطر ولم أجبه إلا عندما أتخذ مقعده بجوار المدفأة فقلت :

❖ لقد حدث أمر غريب ياهولمز حرت في تعليله وسرغوره غير أنى فشلت !!

سالت بسمة تهكمية على جانبي شفتيه الرفيعتين وقال :

❖ طبعاً فشلت .. ماذا حدث ياواطسون ؟

❖ قبل أن أسرد عليك القصة أرجو أن ترى هذه الصورة .. لقد ابتعتها منذ أسبوعين من أحد المخازن والصورة في حد ذاتها لم ترقنى ولكن الذى أعجبنى هو الإطار الذى يحيط بها ..

وجعل يفحص هولمز الصورة بعينيه المتفرستين اللذين يشبهان عيني الصقر وقال :

تقول أن الصورة لم ترقك .. إذن فأنت لاتفهم شيئاً في الفن .. انظر إلى هذه المظلة الحجرية القائمة على الأعمدة الضخمة كأنها إحدى أبنية الاغريق ثم إلى هذه المزولة القريبة منها وإلى النهر الصغير الذى ينساب في رفق ولين والمقاعد الحجرية .. لعمري إن الفن الاغريقى ليتجلى في كل جزء من أجزاء هذه الصورة النادرة إنها تحفة تستاهل أكثر من وزنها ذهباً !!

❁ ما حسبتك يا هولمز شاعرا قبل اليوم ولكن دعنا مما تقول
وانظر إلى هذه الأرقام المكتوبة في ركن الإطار .. هل
تراها ١٥-٤-٢- أو بمعنى آخر فهي اليوم الخامس عشر
من شهر إبريل عام ٢ ..

ثم فتحت درج مكتبي وأخرجت منظاري الكبير من صندوقه
الجلدي الأسود وثبته على حامله وصوبته نحو المنزل المقابل لمنزلي
وقلت له :

❁ والآن انظر إلى النافذة المفتوحة

فتقدم هولمز إلى المنظار وجعل يدير عدساته حتى وجدها
ملائمة لعينه وبدا المنظر أمامه واضحا وقال :

❁ غرفة بسيطة تدل على رقة حال ساكنيها .. ليس فيها إلا
فراش كبير عادي .. وآخر يمتاز عنه بصغره ..

❁ وعلى الحائط ماذا ترى ؟!

❁ آ..ه هناك صورة أيضا .. يالله .. إنها نفس الصورة التي
لديك ..

❁ نعم .. فهي نفس الصورة يا هولمز دقق النظر أيضا في ركن
إطارها الأيسر .. هل رأيت ؟

نعم .. نعم .. نفس الأرقام وهى منقوشة باللون الأحمر ..
١٥-٤-٢ ...

ورفع هولمز عينيه عن المنظار ثم سألنى :

❁ ومن يسكن هذا البيت ؟

لقد تحررت عنها فعلمت أنها أرملة تعيش بما تدره عليها
إبرتها من ربح ..

وقاطعنى هولمز ؟

هل عرفت اسمها ؟

❁ نعم فهى تدعى لويز ديرفمونت ويقال إنها تنتمى إلى أحد
نبلاء فرنسا الذين طوحت رأسهم المقصلة فى عهد الثورة .
ففكر هولمز لحظة ثم قال :

❁ نعم تذكرت ديرفمونت هذا فقد أعدم فى اليوم الذى أعدم
فيه اندريه شينييه وكان ديرفمونت يعد من أكبر نبلاء
فرنسا ثراء . ولكن متى عثرت على هذا التوافق الغريب
بين صورتك والصورة التى تملكها لويز ديرفمونت ؟!

❁ منذ عشرة أيام تقريبا ..

فبدا الغيظ على وجه هولمز وضرب الأرض بقدمه وصاح :

❁ منذ عشرة أيام ولم ترسل إلى وقتها ؟

❁ كنت أنتظر حلول اليوم ولو كلفت نفسك مشقة النظر إلى النتيجة المتواضعة الملصقة على يمينك لأدركت على الفور أننا في ١٥ إبريل أى نفس التاريخ المنقوش على اطار الصورتين .

وماذا حدث اليوم ؟

❁ لقد سمعت مصادفة بواب المنزل وهو يتحدث إلى بعض رفاقه قائلاً إن يوم ١٥ إبريل هو أهم يوم في حياة لوزير ديرنمونت ...

❁ وهل علمت ماذا يجد عليها في هذا اليوم ؟

❁ نعم فهي طوال العام تكد وتنهك نفسها بالعمل المضني الشاق . تصل ليلتها بنهارها في خياطة ثياب زبائنها ولا تخرج من بيتها إلا عند الضرورة القصوى فتلتحف بشال رث لا يحمل لونا خاصا نظراً لقدمه ومرور الأعوام عليه وتحمل في يدها اليمنى سلة قد تقصفت عيدانها وهدم شكلها وتضع على عينيها التي كاد يذهب بضوئها شغل الابرة المستمر وتذهب إلى السوق لتبتاع مستلزمات المنزل وحاجاته الضرورية ثم تعود إلى بيتها مطرقة

الرأس فتطهى الطعام ثم تستأنف عملها في غير ماهوادة
ولا رحمة حتى إذا هل يوم ١٥ ابريل من كل عام خرجت
مع ابنتها ..

وهنا قاطعة هولمز :

❁ أيتها ابنة ؟ انك لم تذكر لى ذلك ؟!

❁ لعلنى نسيت .. أقول تخرج مع ابنتها في نحو الساعة
العاشرة صباحا ولا تعود إلا عندما يلقي الظلام ستاره
على الكون وتغمر العتمة كل شىء .. ولم يحدث مرة
طيلة هذه الأيام أن تخلفت عن خروجها في ذلك اليوم
مهما عاقتها العوائق ووقفت ف سبيلها الحواجز ..

وقاطعنى هولمز للمرة الثانية :

❁ هذا بديع وغريب في الوقت نفسه أكمل قصتك ياواطسون
❁ هذا كل ما أمكننى معرفته .. فأنت ترى معنى ضرورة
وجود سر تحرص هذه العجوز على كتمانها .

❁ نعم .. إن رأيك في محله ولكن ألم تحاول مرة أن تعرف
المكان الذى تقصده هى وابنتها في مثل هذا اليوم من
كل عام ؟

❁ نعم لقد حاولت ذلك بكل ماأوتيت من جهد ولكن
مساءى كللت بالفشل وذلك لعزلتها التامه وعدم وثوقها
بأحد تأمنه على سرها الدفين كما أنها لم تحاول قط أن
تتصل بمخلوق .. حتى جيرانها وهى أبدا مطرقة الرأس
دائمة الصمت لا تتكلم إلا بمقدار .

❁ وهل أنت واثق من صحة هذه المعلومات التى توصلت إلى
معرفتها ؟

❁ ثقتى بوجودى أمامك يا صديقى ..

وحانت منى نظرة عندئذ إلى النافذة فرأيت العجوز وابنتها
فصحت به وأنا أجذبه من ذراعه نحو النافذة :

❁ تعال وانظر بنفسك ...

وكانت الطفلة فى نحو السابعة من عمرها وكانت على شىء
من الجمال ووقفت خلفها كالمومياء المحنطة عائرة العينين
حتى لتكاد تبدو عظامها من جسمها الضامر مريدة الجبين
مجعدة الوجه قد ارتسمت على محياها بسمات الحزن
العميق والكآبة إلى أقصى حدودها ورغم بساطة ملابسها
الرخيصة التى كانتا ترتديانها فهى تبدو على ذوق مقبول
وعناية فائقة ولم تلبثا لحظة سحبت الأم بعدها ابنتها من
ذراعها وخرجتا من الحجرة ..

ومد هولمز يده إلى القبعة فوضعها على رأسه بسرعة وقال :

❖ هيا بنا إنهما سيخرجان وسوف نتبعهما عن كثب لنعلم المكان الذى اعتادت الذهاب إليه كل عام .

ولبست أنا الآخر قبعتى وما أن هبطنا السلم وصرنا أمام الباب حتى وجدناهما يدخلان حانوت خباز حيث ابتاعا منه رغيفين وضعتهما العجوز في السلة المهشمة التى كانت تحملها ابنتها والظاهر انها كانت تحوى أيضا بعض الاطعمة الجافة ..

توجد الاثنان بعد ذلك إلى ميدان (النجم) ومنه إلى شارع (كليير) ثم اتجهتا في الطريق الموصل إلى (باسى) .

وكان هولمز يسير بجوارى غارقا في بحار متلاطمة من التفكير العميق . وكانت تصدر منه بين اللحظة واللحظة حركة تدل على انه مازال في حيرة من أمر هذا اللغز الذى أغلق على كلينا ..

وانحدرت لويز ديرغونت هى وابنتها إلى شارع (رينوار) وهو شارع قديم قد رصت بعض الخرائب والمنازل القديمة المتداعية على جانبيه وكانت امثال فرانكلين ويلزاك وغيرهما .

ومن شارع رينوار انعطفتا في زقاق مظلم مهجور تنبعث منه رائحة تشمئز منهلا النفس إذ كانت مزيجا من الرطوبة والعفونة الناشئة عن أهمال تنظيفها .

وأخيراً وقفت لويز ديرنمونت أمام باب حديد اعتلاه الصداً مقوس الشكل يقع وسط حاجز متهدم سقط عنه بياضه ورشقت حافته العليا بقطع من الزجاج مدببة الأطراف كأنها المدى المشهورة في وجه كل من يحاول اجتيازه والسطو على مايقع خلفه والتفتت العجوز حولها لتتأكد من خلو الطريق إلا منها ومن إبتها وكنا نختفى وقتئذ في منحني لم ترنا فيه ولما وثقت بأن ليس هناك من يرقبها دست أصابعها النحيلة في طرف ثوبها وأخرجت مفتاحاً كبير الحجم ولجته في بطن شديد داخل الثقب وأدارته دورتين ثم دفعت الباب فصرت مفاصله التي أكلها الصداً صريراً مزعجاً خلناه حشرة مريض في دور النزع الأخير ودفعت إبتها إلى الداخل ثم تبعتها وعادت وأوصدت الباب خلفها ..

ولم تمض لحظة بعدها حتى طرق آذننا وقع أقدام خافسة فالتصقنا بالحائط وإذا بشحاذين كهلين أحدهما رجل والآخر امرأة يمران بنا دون أن يريانا وما أن بلغا الباب المقوس الكبير حتى أخرج الرجل مفتاحاً كبيراً كمفتاح لويز ديرنمونت وأولجه في الثقب للمرة الثانية وأداره دورتين انفتح على اثترهما الباب وبعد أن دخلا وأوصده خلفهما ..

وهمس هولز في أذنى .

❁ غريب بل منتهى الغرابة يخيل إلى أن ..

غير أنه لم يتم جملة بل غرز أصابعه النحيلة في ذراعى
قائلا فى صوت هامس لا يكاد يسمع :

❁ صه .. انظر ...!!

وسمعنا صوت قدوم سيارة فالتصقنا فى الحائط خوفا من أن
يرانا راكبها ووقفت السيارة وهبطت منها فتاة فى العقد الثالث
من عمرها وخيل إلينا عندما وقع بصرنا عليها أنها إحدى هؤلاء
الخور اللواتى وعد الله بهن عباده فى فردوسه المقيم وكانت تحمل
بين يديها جروا وكانت ترتدى ثيابا وجواهر يدل على أنها إحدى
نساء الطبقة العليا وسارت إلى الباب الكبير وأخرجت من حقيبة
يدها الصغيرة الأنيقة مفتاحا ثالثا فتحت ثم اختفت خلفه
وأغلقت الباب ثانية وما كادت تتوارى عن عيوننا حتى همس
هولمز فى أذنى :

❁ لا أدري وايم الحق بأى صلة يرتبطون بعضهم ببعض وهم
كما ترى مختلفو الهيئة بين كبير وصغير وغنى وفقير ...

ولفت نظرنا بعد ذلك سيدتان على غاية من الكبر ترتديان
ثيابا مهلهلة خلقه إن دلت فهى تدل على فقر ليس بعده فقر
ويظهر على ملامحهما المتشابهة أنهما شقيقتان وكان يسير
خلفهما شخص يرتدى ثياب خدم القصور وآخر بملابس الجندى

المتقاعد وشخص ثالث تدل ملابسه المرقعة والممزقة فى معظم اجزائها أنه يعانى الفقر المدقع وخلف هذه الجماعة مختلفة الذى تسير أسرة تتكون من صانع وزوجته النحيلة وست أطفال والكل شاحبو الوجوه هزيلوا الأجسام تنبعث من أعينهم نظرات الذلة والمسكنة ولحظنا أن الجميع يحملون سلاسل تختلف فى الحجم والهيئة وفيها ما ابتاعوه من أطعمة جافة .

وعندئذ هتفت فى آذان هولمز :

❁ يغلب على ظنى أن الفناء الذى يقع خلف هذا السور الكبير منتزه عام مخصص لاستنشاق الهواء !!

وكنيت أقصد المزاح بقولى ولكن هولمز أخذها على محمل الجد وقال :

❁ أهذا هو رأيك بعد كل ما شهدت ؟!

وغضبت فى نفسى لهذا التعريض وسألته :

❁ وماذا تظن خلف السور إذن ؟

فهز كتفيه قائلاً :

❁ للآن لم أكون لنفسى رأيا أستطيع أن أدلى به إليك أو إذا شئت الحقيقة فأنا فى حيرة ليس لها قرار ولكن ثق أنه سوف يستريح بالى حتى أكشف اللثام عن هذا اللغز الغريب ..

قال ذلك وجذبني من ذراعى وجعل يصبو نظره إلى حافة
ال سور الكبير المنفرز بقط الزجاج المدببة تارة وطورا يفحص
البيتين المبنين فى طرفيه غير أنه لم يحاول أن يتسلق السور
وقطع الزجاج تحقق فينا محذرة !!

كذلك لم يحاول الوصول إلى بيت من البيتين لأن أبوابهما
ونوافذهما كان يبدو عليها أنها محكمة الإغلاق !؟

وصدرت عندئذ من هولز بعض كلمات لم أتبينها ولكنى
عرفت أنه ساخطا متذمرا ثم قال :

❁ لا فائدة من التسلق سواء من فوق السور أو على بيت من
البيتين فدعنا نفكر فى طريقة أخرى .

ومضت علينا ثلاثون دقيقة ونحن نقدح عقلينا فى إيجاد
وسيلة تمكنا من الدخول دون أن نهتدى .. وفجأة إذا بالخط
يخدمنا ..

فتح الباب الكبير فى حذر وخرج منه أحد أبناء الصانع ثم
أغلقه خلفه ورأيناه يسير صوب شارع رينوار وغاب بضع دقائق
ثم عاد وهو يحمل فى كل يد من يديه قارورة مملوءة بالماء وعندما
صار أمام الباب وضع القارورتين على الأرض ثم أخرج من جيب
سرواله مفتاحا كبير الحجم فتح به الباب ودخل .

وقبل أن يقفل الطفل الباب خلفه وجدت هولز يجرى نحو

الباب فى خطوات سريعة خفيفة ورأيته يدس يده فى جيبه ويخرج مطواه وضع نهاية شفرتها بالقرب من الموضع المخصص للسان الكالون ولما أغلق الطفل الباب وراءه لم يدخل اللسان فى مكانه فكان من السهل دفع الباب والدخول منه دون أى مشقة .
وأشار إلى هولمز فغادرت مكانى وما صرت بجانبه حتى قال فى صوت الظافر المنتصر :

❁ لقد نجحت الحيلة يا واطسون !!

ثم مد يده ودفع الباب فى بطاء شديد حتى لا يسمع صريه ودخل فى حذر وأنا أتبعه على أطراف أصابعى وكان إلى جانب السور بعض فروع متسلقة كثيفة زرعت لتزيين المكان فاخففنا خلفها كيلا يرانا أحد ونظرنا من خلال الأغصان وقد عقلت الدهشة لساننا

وعندئذ صحت فى صوت مبحوح :

❁ ما هذا يا هولمز ؟! .. يخیل إلى أننا فى حلم !!

اذ كان الفناء المحدود بين البيتين المقامين على نهايتى السور يحوى منظرًا غريبًا لم نتوقع رؤيته
هو منظر يشبه تمام الشبه الصورة التى ابتعتها من أحد المخازن منذ أسبوعين .

واطلعت هولمز عليه ففى الجهة المقابلة للسور كانت تقع المظلة المستندة على الأعمدة الاغريقية المستديرة وفى الوسط شاهدنا المدرجات الحجرية المنحنية وقد صفت فوقها المقاعد وإلى جانب المدرجات نهر صغير ينساب فى رفق ولين وقد ثبتت على شاطئيه بعض النباتات الطفيلية وإلى يسار البركة بئر عميق الغور تشبه كل الشبه البئر المنقوشة على الصورة وبالقرب منها رأينا المذولة التى كان يستعملها الناس فى تحديد الوقت !!

وكان عقد المدعوين قد انتظم ، فرأيناهم منتشرين فى الفناء زرافات ووجدنا بعضهم يجلس على المقاعد والبعض فوق المدرجات الحجرية المستديرة والبعض الآخر يسير فى خطوات وثيدة بسيطة ولكن الجميع اشتركوا فى شىء واحد هو تناول الطعام الذى أتوا به اللهم اذا استثنينا السيدة الموسرة التى جاءت فى السيارة فقد انتبذت مكانا بعيدا عنهم وجلست ساكنة مطرقة برأسها غير أن لويز ديرفمونت ما لبثت أن أشارت عليها بمساهمتها الطعام فقدمت إليها قطعة من السندوتش وفعلت الشقيقتان العجوزتان والجندى المتقاعد مثلها ...

❁ لا زلت فى حيرة من أمرى .. أى صلة تربطهم على اختلاف أعمارهم وهيئاتهم ومقدارهم فى الغنى والفقر وأى سر ذلك الذى جعلهم يتفقون على اللقاء فى هذا المكان الخرب النائى يوما محددًا فى كل عام ؟! ولم أجبه

على سؤاله وانما لفت نظري انهم بعد الانتهاء من الطعام
وكان عقربا الساعة المثبتة حول معصمى يشير ان إلى
الواحدة إلا خمس دقائق ، رأيت الشحاذ العجوز يخرج من
جيب سرواله غليوننا قديما شوهه وغير لونه كثرة الاستعمال
وفعل مثله الرجل البدين بينما بحث الأول فى جيبه عن
شئ والظاهر انه نسى أن يبتاع تبغا فهمس ببضع كلمات
إلى البدين الذى نسى بدوره استحضار صندوق الثقاب
واشترك الاثنان فى ملء متبغيهما واتجهها صوب المظلة
الاغريقية وانتقيا مقعدا جلسا عليه وجعلا يتحدثان
بصوت خافت لم يصل إلى سمعنا نظراً لطول المسافة التى
بيننا وبينهما .

ولم يلبث بعد ذلك أن تراشق باقى الجماعة بالحديث كأنهم
على معرفة سابقة والذى أثار انتباهنا هو سيدة السيارة التى
كانت تأتى بحركات وإشارات مختلفة وهى تحدثهم ...

ومضت برهة فوجئنا بعدها بصراخ شديد اتجه الجميع عقبه إلى
ناحية البئر كى يستقبلوا أحد أبناء الصانع الذى كان خارجا منه
إذ ذاك وقد شد وسطه إلى خطاف كبير الحجم مثبت بحبل غليظ
مفتول مما يستعمل عادة فى ربط الدلاء ..

ودهشنا عندما وجدنا الجميع يهجمون عليه وكل منهم ينتزع
جزءا من ملابس الطفل المبللة الملتصقة على جسده النحيل كأنما

هم يتخطفون أشياء غالية الثمن بينما جعل الطفل يصرخ
ويبكي ويناضل بساعديه الصغيرين حتى شق سبيله وهرع إلى
أمه مرتجياً بين أحضانها ...

وعندئذ قلت لهولز :

❁ إنى اكاد أجن .. هل فهمت شيئاً إلى الآن ؟

فأجابنى وهو ذاهل :

❁ ما فهمت إلا أن هؤلاء القوم لا يتمتعون بنعمة العقل ..

هم مجانين بكل مافى هذه الكلمة من معنى .. ولكن انظر
انظر . قال ذلك وهو يشير من فرجة بين الغصون المتشابكة .

كانت لويز ديرفوننت تشير إلى الجمع تأمرهم بملازمة الهدوء
والسكون ... ولكن شيئاً جديداً لم يحدث بعد ذلك ..

وكانت الساعة قد بلغت الخامسة عندما سألت هولز :

❁ ويعد . هل ستظل فى حيرة من أمر هذا اللغز الغريب ؟
ولم يجبنى هولز وإنما أشار إلى التريث والانتظار ..

وأخرج الرجل البدين ساعة كبيرة من جيبه ونظر فيها وتبعه
الجميع ففعلوا مثله وبدأ عليهم كأنهم ينتظرون شيئاً تعودوا ان
يروه فى مثل هذا الوقت بالضبط غير أنهم يئسوا من ظهور هذا
الشيء بعد مرور نحو ثلث ساعة فلوح البدين بيده وقد ارتسمت

على وجهه المكتنز علائم القنوط ثم انتصب واقفاً ووضع قبعته
التي شوهتها البقع على رأسه الكبير وفعل الباكون مثله وتأهبوا
للإنصراف

وسمعت صوت هولمز بالقرب من أذنى يقول :

❁ هيا بنا نخرج قبل أن يلحظوا وجودنا ..

فتسللنا على اطراف أصابعنا وما ان أصبحنا فى شارع
رينوار حتى وجدت هولمز يتركنى فجأة ويتجه إلى أول بيت فى
طريقنا وبعد أن وقف يتحدث مع حارسه ما يقرب من دقيقتين
عاد لى عاقداً ما بين حاجبيه وقد ظهرت على وجهه علامات
الإهتمام ... ومرت على مقربة منا عربة فاستوقفها هولمز وركب
وأنا خلفه دون أن أفهم شيئاً وسمعتة يقول للسائق إلى شارع
تورين رقم ٣٤

ولم ينبس هولمز بكلمة طول الطريق بل كان جالساً ورأسه
مستنداً على كفه وقد أغمض عينيه شأنه عندما يفكر كما إننى
لم أسأله بدورى عن أى مكان نقصد إذ كان من عادته أن يروى
إلى كل شىء عندما يحب ويعرف أن الوقت قد حان للإفصاح
عما يجول فى ضميره .

ووقفت العربة أخيراً امام المنزل رقم ٣٤ وعندما هبطنا منها

وجدنا لوحة نحاسية مثبتة على باب الطابق الارضى تحمل اسم :

الاستاذ م . فالاندرى
المحامى

وطرق هولمز الباب ففتح بعد لحظة وظهر خلفه رجل عميق العينين صاحب الوجه مبيض شعر راسه فسألنا :

❁ ماذا تريدان يا سادة ؟

فأجابه هولمز :

❁ هل لى شرف التحدث إلى الاستاذ فالاندرىه ؟

فأجاب الرجل فى أدب جم :

❁ نعم ياسيدى .. مع من لى الشرف ...

❁ إن اسمى الكابتن جاليو وأرجو لو تكرمتم بمنحنا نصف ساعة من وقتك الثمين ...

وانحنى المحامى وهو يفسح لنا الطريق لندخل ثم قدم إلينا مقعدين وقال موجهاً كلامه لهولمز :

❁ هل من خدمة أستطيع أن أوديها لك ياسيدى الكابتن ؟

❁ نعم فإننى أريد أن أنى بيتاً وقد أشار على بعض الاصدقاء
بإبتىاع الارض الموجودة بالقرب من شارع رينوار .
فهز الأستاذ رأسه قائلاً :

❁ ولكن هذه الأرض ياسيدى لم تعرض للبيع فى يوم من
الأيام .

فأجاب هولمز :

❁ إذن فقد أخطأ اصدقائى عندما نصحونى بابتتباعها .

❁ أظن ذلك ياسيدى .

وقام الأستاذ فالاندرىيه إلى خوان قريب ففتحه وبحث برهة ثم
عاد إلينا يحمل صورة ماكدنا نتطلع إليها حتى إزدادت حيرتنا
إزاء هذا اللغز الغريب الذى يبعد عنا فهمه كلما توغلت فيه ..

كانت الصورة نسخة ثالثة من الصورة التى عندى وعند لويز
ديرغونت !!

وأشار الأستاذ فالاندرىيه المحامى إليها قائلاً ؟

❁ أتقصد هذه الأرض ؟

فأوماً هولمز برأسه علامة على الإيجاب بينما استطرد المحامى

❁ لقد كانت هذه الأرض جزئا من حديقة كبيرة كان يملكها النبيل ديرغونت الذى أعدم إبان الثورة الفرنسية ولما افتقر ورثته باعوا الحديقة إلا هذا الجزء الباقى ولا أظنهم يفرطون فيه اللهم إذا .

❁ الفصح هولمز متلهفا : اللهم إذا ماذا ؟

❁ فابتسم فالاندريه ثم قال :

❁ فى الواقع هى قصة غريبة مشوقة وقد مضى عليها سنون طويلة ..

❁ وهل يعتبر تطفلا منى لو سألتك أن تتكرم بسردها ؟

❁ أوه .. كلا بالطبع وأنا من ناحيتى لا أجد مانعا من ذلك قال هذا وراح يسرد علينا أغرب قصة سمعناها :

❁ قبل أن تستعر نيران الثورة الفرنسية الرهيبة كان يحيا الشريف (لويس أجريبا ديرغونت) مع زوجته آن وولده شارل وبولين حياة كلها رخاء ويسر وحدث أن سافرت آن ومعها ابنتها بولين إلى جنوا لسبب ظل مجهولا إلى الآن وقد وعدها زوجها لويس ديرغونت بأنه سوف يلحق بها هو وشارل الذى تركته مع أبيه فى باريس .

وشبت الثورة فجأة واندلع لهيبها بين الفلاحين والنبلاء وإذا
بكل شيء قد شمله البلى واحتوته النكبة وإذا هذه الأمواج
المتدفقة من الشعب والغوغاء تعبت بكل بنت وحجر وتستعذب
كل دمع وألم وتسف في هياجها حتى لتهتك في باطن الأرض
مصون كل رفاة وتخرج من بين طيات الثرى قداسة كل رميم .

وجن جنون الفلاحين من معاملة الأشراف فكان جنونهم هائلا
ومروعا فمضوا يثيرون الجو بضجيجهم وغوغائهم كالرياح العاتية
منادين بسقوط الحكم والارستقراطية ولم يكتفوا بذلك فأقاموا
الجيليوتين وسط باريس وأخذوا يطيحون برأس كل من يشكو انه
من الأشراف أو ينتمى إليهم بأي سبب مهما وهى وضعف
وصادروا أملاكهم من مال وأرض وعاثوا فيها فسادا وحصنوا
باريس وأحاطوها بالجند المسلحة الذين كانوا يطلقون النار على
كل نبيل حاول الفرار من جحيمهم ويطمع في الخروج إلى دنيا
النور .. والسلام ..

ووجد لويس دبرغونت وولده شارل أن الإتصال بآلهما أصبح
من المستحيل وخافا أن تصادر أملاكهم أسوة بباقي النبلاء فباع
لويس قصرة العظيم الذى كان يملكه فى ضاحية سانت جرمين
وسكن فى بيت صغير تحيط به حديقة كبيرة فى (باسى) على
طريق رينوار وتنكر وأفلح فى اختبائه عن الأعين الشرهة لمراه

والأيادي المشوقة إلى جذبه وتسمى باسم مستعار وظل سنوات
ثلاث مختفيا في هذا البيت دون أن يعرف أحد أن ساكنه ماهو
إلا النبيل لويس أجريبا ديرفمونت سوى خادم عجوز كان يأتمنهما
على سره .

ولكن الحال لم يدم أكثر من ذلك إذ علم رجال الثورة من
مصدر خفي بأمره فجزوا العدة لمهاجمته وقيادته إلى المقصلة ..
وتصادف أن رأتهم الخادم مقبلين من بعد وهم يصيحون بسقوط
الشريف ديرفمونت وقتله ففزعت وهرعت إلى سيدها تحثه على
الهرب غير إنها ما كادت تنبئه بما رأت حتى هوت الطرقات تتلى
على الباب فدعا لويس ديرفمونت ابنه شارل وطلب إليه أن
يخاطبهم ويعوقهم قليلا ريثما يذهب هو إلى الباب الخلفي
للحديقة باحثا عن مهرب ولكن محاولة شارل كللت بالفشل إذ
مالبث الجنود أن أطبقوا عليه وعلى أبيه .

وللمرة الأولى قاطع هولز الاستاذ فالاندرية قائلا :

❁ ومتى كان ذلك اليوم الذي قبض فيه على ديرفمونت ؟

ففكر المحامي برهة ثم قال :

❁ كان ذلك في اليوم السادس والعشرين من شهر جرمينال
عام ٨٢ .

وحانت من المحامى نظرة إلى النتيجة المثبتة على الحائط وقال
دهشا :

✻ ياللمصادفه .. إنه يوافق اليوم بالضبط ١٥ ابريل ٨٢ .
وسأله هولمز :

✻ إذن فجر منيال هذا هو الشهر الذى يقابل عندنا شهر ابريل ؟

✻ نعم ولكن بحساب تاريخ الثورة الفرنسية ..

✻ هذا رائع .. أكمل قصتك يا سيدى .

وبعد أن قبض على ديرفمونت وولده ماذا حدث ؟ مر عليهما
شهران وهما مسجونان وفي الأيام الأولى من شهر (ترميدور)
بحساب تاريخ الثورة أعدم ديرفمونت ولكن شارل كانت عناية الله
له راصدة فأهمل ولم ينفذ فيه حكم الجيلتين الرهيب وعندئذ آلت
كل املاك ديرفمونت إلى الحكومة بطريق المصادرة ..

✻ وهل كانت كثيرة ؟

✻ نعم وقد بيع البعض منها وضمنها البيت الذى كان يختفى
فيه النبيل ديرنونت فى شارع رينوار ..

✻ ومن اشتراه ؟

✻ اشتراه المواطن " بيروكيه " بثمن بخس . وبعد أن أفرج عن

شارل قاضى الحكومة التى كانت قائمة وقتئذ لضم أملاك والده اليه وضمناها البيت الذى اشتراه المواطن بيروكيه ولكن الأخير كان عنيدا صعب المراس فأخذ يقيم العقبات والحواجز كى يخسر القضية وعندئذ اتصل شارل بنابليون بونابارت وسرد عليه قصته المؤلمة وهو يبكى فرق له قلبه وأعادها اليه ولم يجد لمواكن بيروكيه بدأ من اخلاء البيت فتركه في ١٣ فبراير سنة ١٩٠٣ .

ولكن عودة هذه الأملاك إلى شارل كانت شؤما عليه إذ من فرط سروره أذهب عقله وقد حدث ذلك في بيت شارع رينوار فشاهد الناس شارل في اليوم التالى وهو يخرج من الباب الحديدى الكبير يبكى بحرقه فظنت شيئا قد حدث وهرعت اليه تسأله عن السبب ولشد مآدهشوا عندما وجدوه يقهقه في صوت مرتفع وكانت عيناه تشع بضوء غريب لا يوجد إلا في عيون المجانين ..

وسكت المحامى الكهل برهة يستريح فيها ثم عاد وأكمل قصته الغريبة :

❁ ولم تعمر آن (زوجة النبيل ديرفمونت) بعد ذلك طويلا إذ قضت هي وابنتها بولين في جنوا بعد فقدهما شارل الأقارب ولم يكن هناك من يعنى بشأنه سوى الخادم العجوز التى كانت تقوم بخدمة والده من قبل ..

ومضت الشهور وتلتها الأعوام دون أن يجد شيء إلى أن حل عام ١٨١٢ فماتت الخادم المخلصة ولكنها فاهت بخبر خطير قبل أن تصعد روحها إلى ربها فاعترفت بحضور اثنين بأن النبيل لويس أجريبا ديرغونت كان يحمل معه عندما قدم إلى الإختباء في بيت شارع رينوار حقيبتين كبيرتين مشحونتين بالذهب والفضة وأن هاتين الحقيبتين اختفيتا قبل القبض عليه بأيام معدودة وعندما سئلت عن مكان اختفائهما قالت أن ديرغونت وشارل هما اللذان يعرفان فقط ولكن المكان ينحصر في الجزء الذي تقع فيه المظلة ذات الأعمدة وامزولة والبئر ..

وعندما وجدت انه ليس من يصدقها أثبتت أقوالها بان النبيل ديرغونت سلمها ثلاث صور رسمها بنفسه لقطعه الأرض التي تحوى في بطنها الكنز حتى يستدل بها الورثة على المكان المحصور .

وقال إنها أعطت الصور الثلاث لشارل فكتب على إطارها بخطه تاريخ القبض على أبيه وعندما أصيب شارل بالجنون فجأة بذلت الخادم جهداً جباراً للبحث عن الكنز لتسلمه إلى الورثة ولكنها لم توفق في جهودها ..
وهنا سأله هولمز :

❁ وهل تظن يامسيو فالاندربيه أن الكنز لازال موجوداً في مكاه لم يمسه أحد ؟

❁ بلاشك .. بل وسيظل خافياً إلى أن يشاء الله رفع اللثام عنه وكنت أظن أن بيروكيه عشر عليه ولكنى سمعت انه مات وهو في فقر ومسغبة مدقعين .

❁ وماذا حدث بعد ذلك ؟

❁ سعى الورثة إلى العشور على الكنز المدفون ، وكانوا ينحسرون في أبناء بولين شقيقة شارل الذي اتضح بعدئذ أنه كان متزوجا في الخفاء وله من زوجته أبناء ..

❁ وماذا حدث لشارل بعد ذلك ؟

❁ بعد أن جن لم يعد يفارق غرفته أبداً طيلة العام ولكن إذا حان يوم ١٥ ابريل هبط إلى الحديقة وقبع تحت المظلة الحجرية مطرقاً برأسه فاذا ماوافت الساعة الخامسة بعد الظهر انتصب واقفا وسار إلى غرفته ليقيم بين جدرانها الأربعة طيلة العام .. وظل هكذا إلى أن مات عام ١٨٢٠

وعاد هولمز يسأله ؟

❁ مضت مائة عام على ذلك ولكن الورثة الذين كانوا يتجددون بتجديد السنين ظلوا يبحثون عن مكان الكنز

إلى يومنا هذا وهم يجتمعون في يوم ١٥ ابريل من كل عام بالقرب من المظلة الحجرية والبئر والمزولة يبحثون وينقبون دون أن يتركوا شبراً من أرض الحديقة إلا قلبوه رأساً على عقب ولكنهم لم يوفقوا أخيراً فباءوا باليأس والقنوط وأخذوا يكتفون بالاجتماع والجلو هناك منتظرين وقوع حادث فجائي يكشف لهم سر المخبأ .

هذا ياسيدى الكابيت كل ما أعرفه ..

❁ ولكن مارأيك الخاص .. هل تعتقد بوجود كنز ؟

فبدت على وجه المحامى علامات الإشفاق والرثاء وأجاب :

❁ في الحقيقة أإى أعطف على هؤلاء الورثة الذين يتشبثون بأمل ضائع فهم في كل عام ينتظرون يوم ١٥ ابريل كما تنتظر الأرض الظمأى قطرة الماء الهاطلة ورغم إملاقهم وعوزهم الشديدين فهم إذا وجدوا شخصاً يود شراء البيت هبوا في وجهه قائلين إنهم لا يبيعونته مهما بلغ ثمنه .. وفي نظرى أن المسألة لا تتعدى خرافة .. إذن من يدرينا أم الخادم العجوز لم تكن تعرف وتهذى بهذيان الموت عندما اعترفت بوجود هذا الكنز ؟ ولنفرض وجود هذا الكنز فمائة عام مع التنقيب والبحث في كل شبر من أرض الحديقة كافيه لأن تظهره !!

❁ ولكن ألا تكفى الصور الثلاث لتكون برهانا على صحة أقوال الخادم ؟

ثم تناول هولمز الصورة الثالثة من فوق المكتب وجعل يفحصها لحظة قم قال :

❁ ذكرت يا سيدى إنها ثلاث صور .. فأين إذن الصورتين الآخرين ؟!

❁ الصورة الثانية عند لويز ديرفمونت ولكن الثالثة لاندري عنها شيئا .

❁ ولكن من أعطاك هذه الصورة ؟

❁ أعطاه لى الورثة أنفسهم كى استخدمها في قضيتهم .

❁ وهل تحمل الصور الثلاث نفس التاريخ على اطارها ؟

❁ نعم وقد حضره شارل قبل وهذا التاريخ هو يوم هجوم رجال الثورة على والده لويس ديرفمونت والقبض عليه
١٥-٤-٢ .

❁ وما معنى رقم ٢ .

❁ إن رقم ٢ بحساب تاريخ الثورة الفرنسية يقابل عندنا عام ١٧٩٤ ميلادية .

❁ ولكنى أظن أن رقم ٢ يشير إلى ..

وكأنما كان هولمز يريد أن يبوح بشيء ولكنه عدل عنه في اللحظة الأخيرة وقال :

❁ وهل إذا تقدم أحد للورثة وطلب منهم أن يسمحو له بمساعدتهم في البحث عن الكنز هل يسمحون له بذلك ؟

❁ نعم إن كان في إمكان كل شخص أن يقدم نفسه على شريطة أن يدفع للورثة ألف فرانك على سبيل المساعدة ورفع بعد ذلك المبلغ إلى خمسة آلاف فرنك وقد تقدم فعلاً أحد الأشخاص ولا أذكر اسمه الآن ودفع الرسم لمقرر غير أنه خسرها إذ لم يوفق إلى شيء .

وهنا ومضت عينا هولمز بيريق غريب وأثار دهشتي وهو يسأل المحامي :

❁ وإذا حدث ونجح المتقدم في الكشف عن مخبأ الكنز ؟

❁ يكون له ثلثه ثم يقسم الثلثان على الورثة ..

وازداد ذهولي حينما وجدت هولمز يخرج من حافضته وينتقي منها خمس ورقات من فئة الألف فرنك ويقدمها إلى الاستاذ فالاندرية المحامي قائلاً :

✿ إذن فخذ الرسم وسوف أبحث بنفسى عن الكنز ولكن أرجو إعطائى وصلا بتسلم الخمسة آلاف فرنك وعليك بعد ذلك أن تتفق مع الورثة على أن نتقابل جميعا يوم ١٥ ابريل من العام المقبل لإجراء البحث والتنقيب أمامهم .

وغص المحامى الكهل وإزدرد ريقه غير مرة ثم قال وهو مبهور الأنفاس :

✿ هل أنت جاد في قولك ياسيدى الكابتن ؟

✿ كل الجد ياسيدى ؟

✿ ولكنى أخبرتك أن مسألة الكنز مجرد خرافة خالية من كل دليل يثبت وجوده .

فأجاب هالمز في اقتضاب :

✿ لا أظن ذلك ..

وأخرج المحامى ورقا من درج المكتب وحرر عقداً يتضمن شروط القيام بأعمال البحث والتنقيب باسم ورثة النبيل لويس اجريبا ديرفمونت والككانت جانيو وبعد أنإزنتهى من الكتابة التفت نحو هولمز قائلاً :

✿ إذا رجعت عن عزمك فأرجو أن تبلغنى قبل حلول الميعاد

المحدد للبحث بأسبوع على الأكثر ياسيدى الكابتن ولكن سوف لا أخبر الورثة بما تم بيننا إلا قبل ١٥ ابريل في العام المقبل بساعات محدودة حتى إذا حدث وتراجعت عن البحث لا يكون لذلك أدنى تأثير في نفوسهم التى أنكهتها الأعوام وطول الانتظار .

❁ كلا لست من رأيك يا سيدى الاستاذ ويمكنك إخبارهم من الآن حتى يحييهم الامل ويجدد من عزمهم .

❁ حسناً ياسيدى . كما تريد !!

قالها الاستاذ فى لهجة من لا يثق بكلام محدثه . .

وبعد ان ودعنا المحامى وصرنا فى الطريق سألت هولمز وانا فى شدة الهشة :

❁ هل انت واثق يا هولمز من عثورنا على هذا الكنز المزعوم ؟

❁ ولم لا .. سوف نرى . إن أمامنا مدة طويلة ٣٦٥ يوماً سأفكر فيها فى الموضوع ملياً غير أنى أخشى أن أنسى بطول الوقت فأرجو تذكيرى بها فى الوقت المناسب ...

وبعد شهرين من الحوادث التى سردتها عدنا الى لندن على ان نرجع الى فرنسا بعد عام قبل يوم ١٥ ابريل لنبحث عن الكنز ..

ومضت الشهور وشغلنا بقضايا أخرى لا تقل غرابة عن هذه القضية وكثيراً ما كنت أحاول أن أذكر هولمز باقتراب ميعاد البحث عن الكنز الموهوم ولكنه كان فى كل مرة يهز رأسه دون أن يبالى ويعطى الموضوع أى اهتمام من جانبه حتى خشيت أخيراً أن تضيع الخمسة آلاف فرنك التى دفعها رسماً للبحث ..

واتصل بنا بعد ذلك أن لويز ديرنمونت احبت رجلاً ينقصها ببضعة اعوام وحاول أن يتزوجها ولكن اهله أرغموه على أن يتركها متعللين بفقرها المدقع ..

وعادت الشهور الباقية من السنة تمر تباعاً وبقي على اليوم الموعود عشرة ايام فعدت الى تذكير هولمز ولكنه اعتذر بعدم استطاعته السفر الى فرنسا الآن قبل أن ينتهى من قضية هامة انيطت به وسألنى أن أسبقه إلى باريس على أن يلحق بى فيما بعد وهل على يوم ١٥ ابريل دون أن يحضر هولمز فاعتقدت أنه نكث بعهده وضرب بالمبلغ الذى دفعه عرض الحائط ورغم ذلك فقد انتظرت فى الفندق الذى نزلت به لعله يحضر فى آخر لحظة ولكن انتصف النهار دون أن أسمع عنه وفى الساعة الثانية عشر والربع ارتديت ملابسى واتجهت صوب البيت الكائن فى طريق باسى بشارع رينوار حيث قابلنى هناك الأستاذ فالاندربيه وهو يكظم غيظه قائلاً :

❁ أين صديقك الكابتن ياسيدى ؟

❁ لقد حسبت أنه حضر إلى هنا قبلى .

فقال وهو يضغط على ضروسه :

❁ كلا إنه للآن لم يحضر وكلنا في انتظاره .

وعندما دخلنا من الباب الحديدى الكبير اجتمع حولنا القوم
وقد شعت وجوههم بنور الأمل وأخذوا يسألوننى عن موعد حضور
صديقى الكابتن جانيو فشرحت لهم الأمر وذكرت أننى تركته في
لندن ووعدنى بحضوره .

وشعرت بالندم والخجل عندما وجدت وجوههم تريد فجأة وتموج
عليها سحابة اليأس القاتل والقنوط المميت بينما قال المحامى :

❁ لو لم يكن قال لى أن أخبر الورثة بما تم بيننا من الاتفاق
لما ذكرت لهم حرفاً واحداً يبعث عندهم أملاً مات منذ مائة
عام ولكن لم أكن أدري أن صديقك يهزأ بنا ويسخر منا .

فأردت أت أرد غيبة هولمز . فجعلت أسرد عليهم بعض
قضاياها التى حلها والتى تدل على ذكاء نادر بل منقطع النظير
والكل يستمعون في إعجاب وفتنة ، وما أن انتهيت من حديثى
حتى سمعت لويز ديرفمونت تسأل المحامى :

❁ وإذا لم يحضر الكابتن جانيو هذا ، فماذا نفعل بالخمسة آلاف فرنكا ؟

❁ تقسم على الورثة بلاشك .

وكان لرأى المحامى وقع شديد التأثير في نفوس الجميع إذ أتوا بحركات تدل على القلق واليأس فقد انتظروا عاما بأكمله بقلوب واجفة تكاد تحصى في نبضاتها اللحظات والدقائق حتى إذا كان اليوم المعهود انهار كل شىء في لحظة واحدة وتماوجت على وجوههم غيمة اليأس وسرى في أبدانهم ذهول عميق ليس له قرار وظلوا واجمين حتى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر فقال المحامى :

❁ انتهى كل شىء ولا يبقى سوى تقسيم المبلغ عليكم ..

وماكاد ينتهى من حديثه حتى سمعنا صوت عربة قادمة بأقصى سرعة ولم تمض برهة حتى دخل علينا هولمز بقامته المديدة وشعره الرمادى وعينيه اللتين تشبهان عيني الصقر وقال وهو يشير إلى طفل من أبناء الصانع :

❁ لقد سهى على أن أطلب من السائق الانتظار فأرجو أن تذهب إلى موقف العربات وتدعو عربة في أسرع وقت ممكن فليس لدى سوى عشر دقائق .

وما سمع القوم جملة الأخيرة حتى تبادلوا الهمس وشحبت وجوههم وبدأ كأنهم أشباح ولحظ هولمز ذلك فقال :

❁ اطمئنوا ولا تخشوا شيئا فعشر دقائق ليست بالوقت القصير ثم اعتذر لهم عن تأخيرهم في الحضور قائلا إن القطار خرج عن الخط بين محطتين صغيرتين في الطريق وقد قتل في هذا الحادث الرهيب اثني عشر شخصا غير جرحى كثيرين فلن أجد بداً ن تقديم المساعدة الممكنة ..

وعندئذ عاد الأمل ينبعث من جديد فأشرفت وجوههم بعد غروب وتهللت بعد وجوم وهمسوا فيما بينهم أنهم سيظفرون باليسار والترف وشيكا وأن هذه الغيمة التي ظلت مائة عام تحجبهم عن النور سوف تتبدد وترق ويصيبهم من اندائها الهائلة كل خير .

ونظر هولمز في سעתه قائلا :

❁ هيا بنا قبل أن نضيع الوقت عبثاً .

وكنت واثقا كل الوثوق أنه مادام كلف نفسه مشقة الحضور من لندن فلا بد أن فى عقله خطة مدبرة ينوى أن يسر عليها ليبلغ حتما إلى نتيجة إذ عهده ناجحا فى كل قضية يقدم على حلها وشق هولمز طريقه بين الورثة حتى وصل إلى المزولة التي تتوسط

الحديقة وأخذ يفحصها برهة كانت قاعدتها على شكل إنسان يحمل على ظهره لوحة رخامية مستديرة نقش على سطحها الأرقام التى تشير إلى الوقت وكادت هذه العلامات تتلاشى لطول عهدها .. وفي وسطها تمثال صغير لكيوبيد إله الحب وقد أمسك بيده سهماً حاداً كان بمثابة العمود الذى يلقى ظله على الأرقام عندما تسطع الشمس ..

وفجأة سأل هولمز وهو بعيد النظر إلى ساعته :

❁ اسعفونى بمبراة ..

ودقت ساعة الكنيسة المجاورة دقتين وكان ظل سهم كيوبيد وقتئذ ملقى على خط يقطع اللوحة الرخامية إلى نصفين متساويين كل منهما نصف دائرة ..

وعبث الرجل البدين فى جيبه ثم أخرج منها مطواة كبيرة الحجم فتحها ثم قدمها إلى هولمز الذى ما كاد يراها حتى اختطفها منه بسرعة وراح يحفر بحدها هذا الخط الذى يقسم لوحة المزولة إلى نصفين متساويين ولقى بعض المشقة فى رفع الأوساخ والأتربة التى تجمعت فى مجراه .

وبعد أن حفر نحو أربعة سنتيمترات اصطدم حد المبراة بشيء صلب وجعل هولمز يناضل فى اخراج هذا الشيء من بين شطرى اللوحة حتى نضحت مسام وجهه وذراعيه بالعرق .

وأخيراً قدم (الشيء) إلى الأستاذ فالاندرية المحامي قائلاً :

❁ هاك يا سيدى ما يثبت وجود الكنز .. فى المزولة !!

وتطلعنا إلى كف المحامى فراعنا أن نجد قطعة من الماس الحر فى حجم البندقة بينما أخذ هولمز يحفر ويحفر وهو فى كل مرة يخرج ماسة أخرى حتى بلغ ما أخرجه أخيراً ثمان عشرة ماسة كلها فى حجم واحد .

وفوجئ الورثة برؤية هذه الماسات النادرة فجعلوا يحملقون فى وجوه بعضهم بعضاً دون أن تصدر من بين شفاههم كلمة .. وبعد أن أفاقوا لأنفسهم ووثقوا من أن ما حدث حقيقة لا حلماً التفتوا إلى هولمز وهم يصافحونه بعيون تطفر منها دموع الشكر العميق ..

وعندما سألت هولمز بعد ذلك عن كيفية عثوره على هذا الكنز الذى ظل خافياً ما ينوف عن مائة عام أشار إلى جانب رأسه قائلاً :

❁ باستعمالى العقل !

❁ أى عقل جبار هذا .. وهل خلقت الخادم العجوز بدون عقل لأنها فشلت فى كشف السر ؟ كذلك لويز ديرنمونت الحائكة والشحاذان والشقيقتان والسيدة ذات السيارة

والجندى المتقاعد و .. و .. أى الورثة الحاليين وهم أحفاد
أناس ظلوا يدفنون كل شىء فى الحديقة مائة عام ..

❁ لم تفهم يا واطسون قولى وقد قلت " باستعمالى العقل "
فانا لا أقول إن هؤلاء جميعا خلقوا عاطلين عن العقل
ولكنى أقصد أن عقولهم فى رءوسهم ولكنهم لم يحسنوا
استعمالها .

فصحت دهشا :

❁ وكيف استعملت عقلك أنت ؟

❁ قبض على النبيل لويس أجريبا ديرنمونت فى يوم ١٦
جرمينال بحسب تاريخ الثورة الفرنسية أى يوم ١٥ أبريل
عام ١٩٧٤ بالتاريخ الميلادى ولو لحظت ما كتب على
أطارات الصورة الثلاث لوجدت ١٥-٤-٢ أى عام (٢)
وكان من الواجب أن ينقش شارل ١٩٧٤ بدلا من (٢) هذه
والخلط بين التاريخين تاريخ الثورة الفرنسية وتاريخ الميلاد
جعلني أشك فى أن رقم (٢) يدل على العام الذى قبض
فيه على ديرنمونت ..

وبدأت أفهم السر فقلت :

❁ إذن فقد اعتقدت أنه يدل على الساعة الثانية

فابتسم قائلاً :

❁ نعم .. وهل في ذلك شك .. إن ديرنمونت عندما انتقل هو وابنه وخادمه العجوز إلى البيت الواقع في شارع رينوار اشترى بأمواله الماسات الثمانية عشر كى يحفظ هذه الثروة العظيمة في حيز صغير يسهل اخفاؤها ولما فوجئ رجال الثورة وهم قادمون للقبض عليه عرف مصيره وهو القتل فهرع إلى الحديقة وكان سهم المزولة إذ ذاك ينعكس ظلّه على الخط الذى يقطع لوحتها الرخامية إلى شطرين فتمكن من اخفاء ماساته قبل هجوم رجال الثورة والقبض عليه وعندما أراد شارل أن ينقش على اطرأت الصور تاريخ القبض على أبيه لم يكتب سوى تاريخ اليوم والشهر وبدلاً من أن ينقش تاريخ العام أيضاً كتب الساعة التى تم فيها القبض على أبيه فكانت ١٥-٤-٢ وقصد بها أيضاً أن الماسات لثمانية عشر مختلفة في المكان الذى يلقي سهم المزولة ظلّه عليه في الساعة الثانية تماماً وقد تمكنت من الوصول إلى ذلك باستعمال عقلى ولكم أنا سعيد لأنى تمكنت من أن أذيب هذه السنين المرهقة التى عاشها هؤلاء الورثة مائة عام كاملة ..

وقد اقتسم الورثة بعد ذلك ثلثى الماسات وأخذت أنا وهولمز

الثلث الباقي وسعدت لويز ديرغنونت بالزواج من حبيبها بعد أن وجدت أسرته هذه الأموال التي تدفقت عليها وعلمت أنها تنحدر من أسرة نبيلة لا تقل عنها شرفا ومالا .

رقم الايداع: ٢٥٣١ / ١٩٩٥

I.S.B.N.: 977-5496-15-2

دار الفرجاني

القاهرة - طرابلس - لندن

القاهرة: ٩ ميدان الذهبى - منشية البكرى - مصر

ص. ب ٢٣٨٢ الحرية - تليفون ٩٠٥٨٩٥